وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم : التاريـــخ

الجزائر خلال العصر الوسيط

من خلال كتابات أحمد توفيق المدني

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ الوسيط

تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب (ة) :

- أحمد غميمة
- حنان بن الشايب
- عبد الرزاق بوته

اشراف الأستاذ(ة)

- د/ علال بن عمر

نوقشت المذكرة علنا يوم : 2023/06/08

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة :

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
علي غنابزية	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر	رئيسا
علال بن عمر	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر	مشرفا ومقررا
علي شعوة	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر	ممتحنا

السنة الجامعية : 202/2022

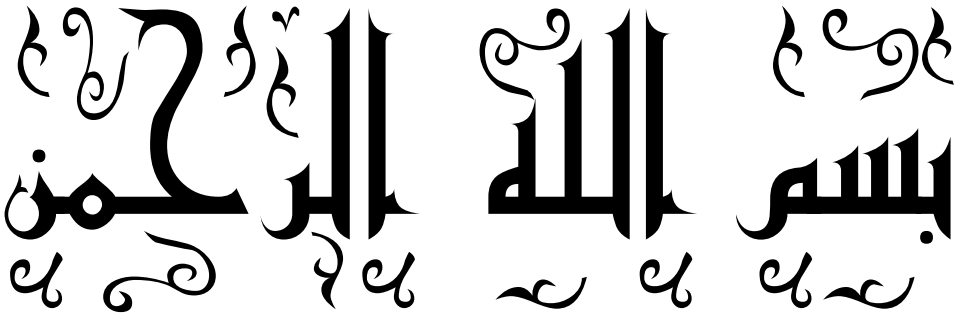
بسم الله الرحمن

الرحيم

شكر وعرفان

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، تباركت يا ربنا وتعاليت "سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " ونصلي ونسلم على خير من أرسله الله للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وصحبه الطاهرين .

الحمد لله الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا الثبات وأعننا على إتمام هذا العمل بعد أن سافرنا لنصنع النقاط على الحروف ونكشف ما وراء ستار العلم والمعرفة .

والشكر موصول إلى كل معلم أفادنا بعلمه من أولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة كما نرفع كلمة الشكر الجزيل إلى الدكتور **علال بن عمر** ، الذي ساعدنا في إنجاز هذه العمل المتواضع .

كما نشكر كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد ، ونشكر كل أساتذة وعمال قسم التاريخ خاصة

وفي الأخير لا يسعنا إلا ندعو الله عز وجل أن يرزقنا التوفيق والسداد .

أحمد ، حنان ، عبد الرزاق

الإهداء

إلى صاحب السيرة العطرة والفكر المستنير الذي كان له الفضل الأول في بلوغي التعليم العالي (والـــدي الحبيب)

أطال الله في عمره

إلى من وضعتني على طريق الحياة وجعلتني رابط الجأش ورعتني حتى صرت كبيرا

(أمـــي الغالية) أطال الله في عمرها

إلى إخوتي . . إلى من كان لهم بالغ الأثر في تخطي الكثير من العقبات والصعاب

إلى جميع أساتذتي الكرام ممن لم يتوانوا في مد يد العون لنا

نهدي لكم عملنا هذا ونرجو أن ينال رضاكم

قائمة المختصرات

الرمز	معناه
(د - ب)	دون بلد
(د - س)	دون سنة نشر
(د - ط)	دون طبعة
(تح)	تحقيق
(تد)	تدقيق
(تر)	ترجمة
(تع)	تعريب
(تق)	تقديم
(تل)	تعليق
(ج)	الجزء
(ص)	الصفحة
(ط)	الطبعة
(P)	الصفحة

مقدمة

مقدمة

إن الكتابات التاريخية هي أكبر خطوة خطاها الإنسان في نقل نفسه من البدائية إلى الحداثة ، و الكتابات التاريخية هي باب من أبواب تدوين الأحداث والوقائع التاريخية ولو أخذنا من باب الخصوص الكتابات التاريخية الجزائرية سنجد أنه كان هدفها الرد على الكتابات المغلوطة في حق تاريخ الجزائر وكشف الستار عن تاريخ شعبها من أقدم العصور إلى أحدثها فلقد ابتدع الحاقدون على تاريخ الجزائر أفكارا أخرى كان الهدف منها محو كل ما له قيمة في الجزائر ومحميات بلاد المغاربة واعتبروا أن الفتح الإسلامي لهذه البلاد ما كان إلا غزوا عربيا ، لم يعد بالفائدة عليها، لذلك ظهرت طبقة مثقفة حملت على عاتقها لواء تصحيح اختلالاته ، محاولة الرد على طمس الحقائق التاريخية وإبراز البطولات التي شهدتها الجزائر أرضا وشعبا ومن هؤلاء الكتاب الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي امتلك من المؤهلات ، ما تمكن من خلاله من التأثير على الأمة من خلال تمتعه بفكر واسع ولسان فصيح ، فلقد سخر الأستاذ أحمد توفيق المدني جميع كفاءاته لخدمة بلاده وشعبه ومن هنا أردنا أن نخصص دراسة أكاديمية نبرز فيها ما كتبه أحمد توفيق المدني عن الجزائر خلال الفترة الوسيطة من خلال بحثنا المرسوم تحت عنوان: (الجزائر خلال العصر الوسيط ، من خلال كتابات أحمد توفيق المدني) وما دفعنا إلى الكتابة في هذا الموضوع هو قلة الدراسات التي تعطي طابعا جديدا للكتابات المعاصرة ، فمعظم من درس الجزائر من خلال هذه الفترة كان بالاعتماد على ما كتبته المصادر التاريخية التي عاصرت تلك الفترة لا من خلال ما كتبه المعاصرون وأما حدود المجال الزمني الذي عالجنا فيه هذا الموضوع فهو يبدأ من الفتح الإسلامي للجزائر إلى غاية سقوط الدولة الزيانية.

الرغبة في اختيار الموضوع:

- إن رغبتنا تكمن في إعطاء طابع جديد لعملية البحث التاريخي وهو دراسة تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال ما كتبه المعاصرون، أو بمعنى آخر ما مدى اهتمام الكتب

مقدمة

المعاصرة لتاريخ الجزائر للمؤلفين المعاصرين ؟ أو بمعنى آخر ما مدى اهتمام الكتب المعاصرة لتاريخ الجزائر في الفترة الماضية والتعمق أكثر في ذلك ؟.

- الرغبة الشخصية في معرفة المؤلف و الاطلاع على مؤلفاته.

الإشكالية الرئيسية:

إلى أي مدى ساهمت كتابات أحمد توفيق المدني في إبراز مظاهر الحياة العامة للجزائر خلال العصر الوسيط وما هي آراء المعاصرين حول ذلك ؟.

ويندرج تحت هذا بعض التساؤلات الفرعية :

- من هو احمد توفيق المدني؟
- ما هي العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته؟
- ما طبيعة الأسلوب الذي اعتمد عليه في كتاباته ؟
- أهم مؤلفاته التي ألفها أحمد توفيق المدني؟
- ما هي آراء المعاصرين حول ما كتبه أحمد توفيق المدني؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات المطروحة اعتمدنا على المناهج التي تلم بحيثيات الموضوع

- كالمنهج الوصفي: للاستعراض جوانب

الحياة العامة للجزائر خلال الفترة المدروسة وهي الفترة الوسيطية

- المنهج التحليلي: لتحليل بعض الوقائع التاريخية إضافة إلى

تحليل مؤلفات الكاتب للوصول إلى الحقيقة وكذلك في دراسة أسلوبه

- المنهج المقارن: للمقارنة بين الردود المختلفة من أحمد توفيق

المدني وآراء بعض المؤلفين الآخرين الذين اعتمدنا عليهم في عملنا .

مقدمة

صعوبات البحث:

تمثلت صعوبات عملنا هذا في صعوبة تحليل ما كتبه أحمد توفيق المدني عن الجزائر في العصر الوسيط باعتبار أن دراسته كانت عامة ومختصرة ، والجانب الأكبر لدراسته كانت في العصر الحديث ، كذلك طول الفترة المدروسة (الجزائر في العصر الوسيط) ودراستها من جميع المجالات كما تقيد العمل بمؤلفات المعاصرين وما كتبه أحمد توفيق المدني وعدم الاعتماد على المصادر التي عاصرت هاته الفترة والتي تعتبر مادة خام لها .

أما في ما يخص الخطة المعتمدة للدراسة فقد اعتمدنا على فصلين يحتوي كل فصل منهما على عدة مباحث ويندرج كل تحت مبحث ثلاثة مطالب بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة ، وبعض الملاحق وعرض قائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة ، فاحتوت المقدمة على تقديم للموضوع وإشكالية رئيسية تليها أسئلة فرعية كذلك المنهج المتبع لعملنا وأهم الصعوبات التي واجهتنا أما بالنسبة للفصل الأول فقد عنوناه بـ أحمد توفيق المدني وكتاباته التاريخية ، درسنا فيه حياته وأهم المقومات الشخصية، التي

كونت هذه الشخصية ، كذلك دراسة أسلوب المؤلف وأهم مؤلفاته وأراء المعاصرين لما كتبه ثم انتقلنا للفصل الثاني وهو الذي يعد المادة الصلبة أو صلب الموضوع لعملنا و مجهودنا تحت عنوان: إسهامات أحمد توفيق المدني في كتابة تاريخ الجزائر في العصر الوسيط وهنا فصلنا فيه الجوانب الاقتصادية عملية الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية للجزائر في هذا العصر ثم ختمنا بحثنا هذا بخاتمة تتضمن أهم الخلاصات والنتائج التي تحصلنا عليها من خلال هذه الدراسة .

قائمة من المصادر والمراجع في هذا العمل أهمها:

كتاب **هذه هي الجزائر** و**كتاب الجزائر**: المؤلف الشيخ أحمد توفيق المدني.

عرضنا من خلاله صورة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للجزائر منذ الفتح الإسلامي إلى غاية نهاية العصر الوسيط.

مقدمة

كتاب **تاريخ الجزائر العام** للمؤلف: عبد الرحمن الجيلالي ، عرضنا من خلاله الحدود الجغرافية للكيانات السياسية التي قامت على أرض الجزائر.

مذكراتي مع مشاهير كفاح للمؤلف محمد فناش وعرضنا من خلاله آراءه حول ما كتبه أحمد توفيق المدني، بالإضافة إلى مجموعة من المصادر التاريخية في المغرب الإسلامي التي عاصرت الفترة الوسطية للجزائر لما كتبه أحمد توفيق المدني عن هذه الفترة وهي كتالي: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد: للعلامة، عبد الرحمن ابن خلدون.

كتاب **أخبار الأئمة الرسميين**: لابن الصغير.

كتاب **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** : للبكري أبو عبيد الله.

كتاب **صورة الأرض:** لابن حوقل .

وبعد فإننا أعددنا دراستنا. المسومة بـ: **الجزائر خلال العصر الوسيط من خلال كتابات أحمد توفيق المدني** حيث بذلنا ما استطعنا ومن جهد من بحث واستقراء للمؤلفات و مقارنتها بأخرى ، لنرسم ولو صورة متواضعة لنجاح هذا البحث فإن وفقنا، فذلك من تمام فضل الله علينا و إن كان الأخرى فحسبنا وعزاؤنا أننا أخلصنا وعملنا ما بوسعنا واستفرغنا الجهد .

الفصل الأول : أحمد توفيق المدني وكتاباته التاريخية

المبحث الأول : تعريف بشخصية أحمد توفيق المدني

المبحث الثاني : الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني وآراء المعاصرين حولها

تناول هذا الفصل المعلومات الشخصية لأحمد توفيق المدني الممتدة من مولده ونشأته وأهم المؤثرات التي ساعدت في تكوين شخصيته التاريخية في التأليف، كذلك أبرز الكتب التـي ألفها أحمد توفيق المدني .

المبحث الأول : تعريف بشخصية أحمد توفيق المدني

المطلب الأول: نشأته وتعلمه .

- **المولد والنشأة.**

في إحدى الديار العربية التي يعود بناؤها إلى العصر الحفصي الأخير بنهج الناعورة رقم 04 في تونس العاصمة[1]،ولد" أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني " يوم01 نوفمبر 1898م[2]، من أبوين جزائريين لاجئين إلى تونس[3]، بعد وقوع الجزائر في قبضة السيطرة الاستعمارية الفرنسية وما تلاها من سياسية استعمارية جهنمية ضد الجزائريين .

إن عائلة المدني ، عائلة جزائرية اسمها الأصلي عائلة بن عمر "Ben Omar "نسبة إلى أحد الأجداد و الذي يأخذ اسمه الحي المعروف في وقتنا الحاضر بحي "بن عمر " بمدينة القبة بالجزائر العاصمة ، وهي من عرب الأندلس[4] الذين نزحوا بعد سقوط غرناطة في عام 1492م .

أما والده فهو محمد بن أحمد المدني بن عمر القبي نسبة إلى مدينة القبة ، الغرناطي نسبة إلى غرناطة بإسبانيا[5]، ولد بالجزائر العاصمة سنة 1852م ، ودرس بالجامع الكبير ، وجامع الزيتونة ، وكان تاجرا غنيا فنشأ مترجما في منزل فخم وأسرة ثرية[6] .

---

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988، ص 13.
[2] أحمد توفيق المدني : نفسه ، ص7.
[3] عبد الكريم بوصفصاف وأخرون : معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج2 ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة ، جامعة قسنطينة ، 2004، ص 303.
[4] عبد القادر خليفي : أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر 1899- 1983م ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة متنوري قسنطينة ، الجزائر ،2006-2007م ، ص 48.
[5] محمد حسن فضلاء : من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1، دار هومة ، 2000 ، ص 96.
[6] محمد الصديق الصالح : شخصيات فكرية وأدبية ، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2002، ص 319.

أما جده فقد كان أمين الأمناء أي شيخ بلدية العاصمة الجزائرية[1] .

وأراء المعصرين حول أعماله التاريخية .

أما والدته فهي "عائشة بنت عمر بويراز "ابن المجاهد الكبير " مصطفى بويراز " ، الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة أسطاوالي الشهيرة[2] ، ولدت بتونس خلال عام 1877م من عائلة " ابن غشام " ، وهي إحدى كبريات العائلات التونسية[3] ، وعائلة بويراز تركية تماما من الأتراك الجدد ، الذين قدموا من تركيا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى الجزائر واستقروا بها[4] .

والحقيقة أن عائلة مترجمنا بفرعيها (المدني و بويراز) من العائلات التي شردها الاستعمار الفرنسي في أعقاب ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871م ، فاختارت الهجرة خارج البلاد الى البلدان الشقيقة والصديقة ، فكانت تونس مقصدا لها ، عوضا من بلدها الأصلي الجزائر[5]، وفي خلال رحلة الهجرة والتوجه إلى تونس حدث التعارف والتقارب بين العائلتين[6] ، ولما لحق الاستعمار الفرنسي بهم في بلد اللجوء ، فروا هاربين من ظلم فرنسا ، إلى حيث ينشدون السلام والأمن في استانبول ، عاصمة الخلافة العثمانية الإسلامية آنذاك[7] ،حيث أن جميع أفراد عائلة بويراز عادوا إلى تركيا بعد سنة 1909م عدا والدة مترجمنا[8] .

وتعد عائلة جده لأمه " عمر بويراز" ، عائلة ثورية ، فخاله "محمد بويراز" كان من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس أثناء الاحتلال الفرنسي ، كما أن خاله " الحبيب بويراز" كان له دور أيضا في الثورة الكمالية مع مصطفى كمال باشا[9] ، فالمدني إذا سليل عائلتي

---

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1، ص13.
[2] مدني بشير : أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية ، المدرسة التاريخية الجزائرية ، ط1، وسام براسم للإعلام والنشر والإشهار ، الجزائر ، 1998، أنظر أيضا ، أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج1، ص 14.
[3] عبد القادر خليفي : ص 49
[4] أكمل الدين أحسن أوغلي : هذا ما حدثني به المدني صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني ، مجلة التاريخ ، العدد 18 ، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985، ص 36.
[5] الجباري محمد الصالح : رحم الله أحمد توفيق المدني ، مجلة الحياة الثقافية ، العدد 28-29 ، تونس ، 1983، ص 03.
[6] عبد القادر خليفي : ص49.
[7] أكمل الدين أوغلي : ص 36.
[8] عبد القادر خليفي :نفسه ، ص 49.
[9] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1، ص13.

عاش "أحمد توفيق المدني " في أسرة متكونة من أربعة إخوة : ثلاثة ذكور وهم "الهادي * "و "أحسن " ،و " محمد علي" ، وبنت واحدة تدعى "خديجة "1.

وقد أورد مترجمنا في مذكراته ، خلفيات تسميته باسم "توفيق" ، إذا هو في الأصل" أحمد توفيق المدني " ، فذكر أن هذه التسمية أطلقت عليه أيام حرب طرابلس سنة سنة 1911م ، عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا "فتحي بك" ، وهذا في إحدى الجلسات الخاصة أقامها السيد "المختار كاهية " ، حيث استرعى انتباه القائد بحيويته وذكائه رغم صغر سنه سأله عن اسمه ، ثم دعاه منذ تلك اللحظة فقال له أنت" أحمد توفيق – توفيق " ، فشاع الاسم2واشتهر وعرف به الرجل ، وهذه الأسماء مشهورة لدى الأتراك ، وحسب الكاتب "إحسان حقي" ، فإن الأشخاص الأتراك ، أو من هم من أصل تركي يسمون أولادهم : عثمان ، وأدهم ، ونور الدين ، وتوفيق ، ومراد3 .

نشأ مترجمنا وسط جو عائلي إسلامي الروح ، إذا تربى في أسرة كريمة ، ذات أخلاق عالية ، عملت منذ الوهلة الأولى على حسن تربيته ، ومراقبة محيطه ، وقد روى بنفسه في مذكراته قائلا : (كانت الحياة في منزل فخم حياة ناعمة سعيدة...لم أكن ألعب مع الأطفال ، وأنا أسمع من وراء أبواب المنزل لغطهم وصراخهم ، وما يقولونه من بذئ الكلام الذي لم أكن أفقه له معنى وأسأل أمي عنه فتراوغ في الجواب ، وتقول لي إياك أن تختلط بهم ...وكانت الأم تجتهد في تعليمي سورا من القران ، وبعض الأحاديث النبوية ... وما كان حديثها معي إلا عن الحرام ، وهو كل خبيث من القول أو العمل ، والحلال ، وهو العمل الصالح الطيب)4 .

فوالدته كانت على جانب معتبر من الثقافة الإسلامية ، كما كانت لها عناية بالقران والحديث حفظا وفقها ، وقد كانت لا تدخر جهدا في رعاية أولادها ، وتربيتهم تربية مثالية

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1، ص41.
[2] إحسان حقي : الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد ، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبان ، 1961، ص 2013.
[3] أحمد توفيق المدني : ص ص 17-18 .
[4] الهادي المدني : قاضيا ، شاعرا شهيرا بتونس ، يعد أحد أعلام الثقافة القومية العربية .

تقوم على العقيدة الصحيحة، والأخلاق الكريمة ، والسلوك الحسن ، حيث كانت حذرة جدا عليهم من مخالطة الوسط الاجتماعي ، وما ينحدر عنها من انحراف ، خاصة إذا كان المختلط بهم ممن لا أخلاق لهم[1] .

أما والده ، فقد كانت به بقية من كبار علماء الجزائر، وقد درس بالجامع الأعظم "الزيتونة " ، وكان يصحبه معه للصلاة ، ويحادثه في الحكم والإرشاد ، ويحكي له جرائم الاستعمار بالجزائر[2]، كما نهل من منهل جده "عمر بويراز" ، وأخذ من ينابيع ثقافته الدينية والاجتماعية الواسعة[3]، حيث تعلم عنده دروسا في الدين والأخلاق والسيرة النبوية ، دون إغفال الحديث عن واقع المسلمين عامة ، ومسلمي تونس والجزائر تحت ظروف الاحتلال الفرنسي ، وفي هذا الصدد يقول المدني :(كانت دار جدي مدرسة حقيقة ، سامية الأهداف ...كنا نحيط به رجالا ونساء وصبيانا ، فيلقي علينا كل ليلة دروسا في الدين والأخلاق ، وسيرة النبي (ص) ، ثم يعرج كل يوم على ذكر الاحتلال الفرنسي بالجزائر ومآسيه وفظاعته إلى أن يستفز شعورنا والى أن تسيل دموعنا ، ويقول لنا كلمة:(إن هذه الدموع هي خميرة المستقبل)[4]، وشكل بيت خاله "محمد بويراز" المدرسة التي أنارت فكره، وأيقظت إحساسه الوطني بما كان يبثه فيه من أفكار حول الحرية ، ورفض حياة الذل والعبودية ، والنقمة على المستعمر ،وحتى عندما كان خاله "الحبيب بويراز" بالمدرسة العسكرية باستانبول فقد ظل على تواصل دائم بابن أخته ، وشكل أفضل قناة تمد الشباب – المتلهف لمعرفة أخبار الدولة العلية – بالوثائق التي كان مغرما بجمعها لأنها تستجيب إلى ميولاته .

وقد اصطدم مترجمنا من جانب أخر بالمستوى الحياتي الراقي في شقه المادي ، والمتدني في مستواه الروحي والأخلاقي ، والبعيد عن معاناة وألام الشعوب الإسلامية المستعمرة ، وهذا في منزل خال أمه ، الذي اعتبره انعكاسا للوسط التونسي ن من أبرز

[1] الصديق محمد الصالح : أعلام من المغرب العربي ،ج3، موفم للنشر ، الجزائر ، 2000، ص 1113.
[2] أبو عمران الشيخ وأخرونا : معجم مشاهير المغاربة ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، جامعة الجزائر ، 1995، ص483.
[3] فكري طونا : الوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني لتدوين وكتابة التاريخ الجزائري الحديث ، **مجلة التاريخ** ، العدد18، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985، ص 57.
[4] أحمد توفيق المدني : ص21-22.

العائلات والواقع أن "أحمد توفيق المدني " نشأ وشب في وقت كانت فيه الجروح كلها لم تزل تنزف فمن الطبيعي أن يكون قد رضع وهو طفل في المهد ، قيم الوطنية والثورة والإباء، ومن لمعقول أن يكون إحساسه بالمحنة من القوة بحيث لا يضاهيه إحساس ،فلقد ولد فيه وعاش من أجله[1] ، حيث أصبح بسبب كل هذه العوامل المذكورة معدا نفسيا ، وروحيا وفكريا لخوض المعركة الفكرية ، والتسلح بالأسلحة العقائدية ، والتحصن بحصانة الثقافة الإسلامية ، بالانتساب إلى المدارس الموجودة آنذاك بتونس[2] .

وبحلول عام 1915م وأثناء أحداث الحرب العالمية الأولى ، وما صاحبها من أجواء الحصار والمراقبة ، اعتقل "أحمد توفيق المدني " بتهمة التحريض ضد فرنسا ، ليمكث في سجنه حتى نهاية الحرب ليطلق سراحه حتى نهاية عام 1918م ، ونتيجة لثورته ونشاطاته السياسية ، وكتاباته الصحفية ، تم إبعاده إلى الجزائر سنة 1925م ، حيث استقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمه من عائلة المدني ، وكن متزوجات من عائلتي "الموهوب"*بن علي و"بوركايب"** ، وهما من العائلات المعروفة ذات الأصول التركية[3] .

لقد أتم الرجل نصف دينه ، فكان زواجه بطريقة تقليدية ،أدت عائلته الكبرى (بنات عمه) دورا بارزا في ربطه بقرينته "زكية بنت الزبير بن الأمين"،وهي عائلة مصاهرة لعائلة المدني

ذات أصول عربية أندلسية ، وهناك تعارف بين العائلتين منذ زمن أقيم الزفاف في يوم الثامن من شهر ماي 1929م، عندما تخطى سن الثلاثين سنة ، وهي تعتبر سنا متأخرة إذا ما

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ، ج1، ص 25.
[2] محمد الطاهر عدواني : كلمة التأبين بمناسبة الأربعين ، **مجلة التاريخ** ، العدد 18، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985، ص166.
[3] عبد القادر خليفي : ص52.

*-عائلة الموهوب : اسمها الأصلي "تشبتشي براهيم" حسب محمد إسلام المدني .

**-عائلة بوركايب : لفظ بوركايب تعني الفرسان ، أو راكبي الأحصنة .

قورن بزواج أترابه في ذلك الزمان ، ووصف مترجمنا حياته الزوجية بأنها كانت بحرا من السعادة ، ونموذجا للحب والاستقرار، مما كان له عظيم الأثر على نجاحاته ومشاريعه[1].

أثمر هذا الزواج أربعة أبناء : ثلاث بنات وهن "سليمة" و"حسيبة" و"فيروز" وابنا وحيدا هو "محمد إسلام"* ، لا يزالون جميعا على قيد الحياة[2] .

ومما يجد التذكير به أن الشيخ "أحمد توفيق المدني " قد ترك أسرته قسرا ، نتيجة إبعاده فكان وحيدا بالجزائر ، وقد ذكر في مذكراته بأنه كان يعيش عيش اللاجئين في العالم الأول والثاني لإبعاده ، فقد حرم أجواء الحياة العائلية ، وكان يتحتم عليه تدبير أموره المادية ، والتي اعتمدت أساسا على ما يتقاضاه شهريا من "جريدة النجاح" مقابل تحرير المقالات في السياسية الخارجية ممضاة باسم "الخبير" ، وهذا علاوة على بعض الإعانات الممنوحة له من الحزب الدستوري ، وكذا من والده ، والتي قدر مجموعها مالا يتعدى الألفين فرنك قديم غطى بها بعضا من الديون المترتبة عليه[3] .

ولقد امتهن مترجمنا عالم التجارة لتغطية حاجاته من خلال فتحه لدكان بقلب العاصمة الجزائر بشارع بوتان رقم 04 ، دعاه "المستودع التونسي " خصصه لعرض وبيع البضائع التونسية كالشاشية ، وتم ذلك باقتراح من صديقين تونسيين هما :" الطاهر المنستيري" و"الصادق المنستيري" ، وبقى يزاول النشاط به لمدة سنتين[4].

وفي شهر أفريل 1928م ، اقترح "عليه السيد عمر الموهوب " صاحب متجر الدخان الشهير بالعاصمة ،أن يتولى إدارة مكتبة الواقع بشارع "لالبير"،حيث استقر به إلى غاية انتدابه من طرف جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة للالتحاق بوفدها في القاهرة سنة 1956[5] .

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1،ص ص 143-148.
[2] عبد القادر خليفي : ص53.
[3] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1،ص 98.
[4] المصدر نفسه : ص99.
[5] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1،ص ص 142-143.

والحقيقة أن ظروف الإبعاد ، والصعوبات المادية ، ومفارقة الأهل ، لم تكن عوائق في وجه إبداعه الفكري والثقافي ، ونشاطه السياسي ، بل أعطته دفعا قويا للإنتاج والتأليف واكتساح

1- تعلمه

تعتبر عائلة المدني كغيرها من العائلات العربية الإسلامية ، تقوم بتوجيه أبنائها الصغار منذ نعومة أظافرهم إلى الذهاب للتعليم القرآني ، ولذلك نجد عند بلوغه سن الخامسة من عمره ' أدخله والده إلى الكتاب (المدرسة القرآنية)، ويصف الشيخ "أحمد توفيق المدني " لحظة الدخول الأولى قائلا : (ذهب بي الوالد يوما إلى الكتاب ، وقد بلغت الخامسة ، فهش له المؤدب وبش ، وقام له التحية إجلال وتقدير ، والصبيان ينظرون مندهشين ...أما أنا فقد تركز نظري على ما لست أنساه : مجموعة كبيرة من العصي مخصصة للتأديب)[1].

فلقد تعلم القراءة والكتابة والقرآن، والمنابر وهيئ تهيئا للدخول إلى المدرسة القرآنية الأهلية[2]، والتي كانت بمثابة أول خطوة خطاها في بداية مشواره التعليمي ، حيث التحق بها خلال سنة 1909م ولقد بلغ سن العاشرة[3]، وكان يشرف على تسيير شؤون هذه المدرسة الشيخ "محمد صفر" فنهل من شيوخها مبادئ اللغة العربية ، وعلوم الدين والحساب ، والكيمياء ، والعلوم الطبيعية ، ومبادئ اللغة الفرنسية[4] .الجزائرية المجاهدة المهاجرة[5] .

*-محمد إسلام المدني ، هو الابن الأكبر الذكر والوحيد للمرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني ، ولد في 19 فيفري 1930م بالعاصمة ، وسط أجواء الاحتفالات المئوية الفرنسية ، فأطلق عليه والده اسم "محمد إسلام " تأكيدا لهويته العربية الإسلامية عرف عن قرب من رواد الحركة الإصلاحية ، خلال تنقلاته مع أبيه وله حكيات مشوقة عن الميلي ، والطيب العقبي وغيرهم ، وبعد استعادة السيادة الوطنية اشتغل مع والده بوزارة الأوقاف كمدير للإدارة المركزية لمدة سنتين ، ثم انتقل إلى وزارة الصحة حيث كان مديرا عاما مكلفا بالمساعدة العامة والسكان على عهد الوزير "تيجاني هدام "، حاليا متقاعد يتمتع بصحة جيدة وذاكرة قوية .

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1، ص 18.
[2] محمد حسن فضلاء : من أعلام الإصلاح في الجزائر ،ج1،دار هومة ، 2000، ص96.
[3] محمد بوذينة : مشاهير التونسيين ، ط2، دار سيراس للنشر ، تونس ، 1992، ص 114.
[4] أبو عمران الشيخ وأخرون : ص 483.
[5] عبد القادر خليفي : ص50.

ويذكر أحمد توفيق المدني أن هذه المدرسة كانت فسيحة ومنظمة ، بها ما يناهز ثلاثمائة تلميذ وأنه كان في الصف الرابع منها ، وسرعان ما جذب أنظار زملائه لنبوغه وذكائه، وشجاعته الأدبية، حيث كانوا يجتمعون من حوله مشكلين حلقة يستمعون ويستمتعون بأحاديثه[1]، لقد كان يروي لزملائه ، ما اختزنته ذاكرته من أحاديث أبيه ، جده ، خاله ، عن ضرورة ووجوب العمل للنهوض من حياة الذل والهوان والتخلف ، التي كانت تعم مختلف الميادين والعمل على تقويم الأخلاق ، والسعي لجمع كلمة المسلمين ، فهو رغم صغر سنه ، كان يتصفح مجلة "العروة الوثقى" التي أصدرها بباريس "جمال الدين الأفغاني " * و "محمد عبده"** عام 1884م ، وكذا مجلتي "المؤيد " و " اللواء" لسان الحزب الوطني المصري والتي كان خاله محمد بويراز يتصفحها للاستزادة في ثقافته ، ومعرفة أخر الأخبار التي يشهدها العالم الإسلامي ، الواقع تحت سيطرة القوى الاستعمارية الاوروبية آنذاك.

وبحلول عام 1913م أنهى "أحمد توفيق المدني" دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية ، فخرج منها متشبعا بعلوم شتى ومختلفة على يد خيره الأساتذة والشيوخ[2] ، وقد كان خطيب هذه المدرسة ، وكاتبها البارز بتوجيه من أستاذه " الشاذلي المورالي " ، فأخذ يخطب ويكتب مواضيع ما يضمنها أفكاره عن حالة الوطن ، وعن واقع الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي[3] .

وفي السنة نفسها التحق بجامع الزيتونة (الجامع الأعظم)، وعن حياته الدراسية والمناهج الذي اتبعه يروي لنا قائلا[4]: (أما بجامع الزيتونة ، فقد اخترت لنفسي منهاج دراسة خاصا بي لا أتقيد بصف ، ولا أشارك في إمتحان ، كما أطلب العلم من أجل العلم لا لأجل

[1] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1،ص 28.

*جمال الدين الأفغاني: ويُقال «محمد جمال الدين» بن السيد صفتر الحسيني الأسد آبادي «الأفغاني» (1838– 1897)، أيديولوجي ومفكر إسلامي وناشط سياسي، يُعتبر من مؤسسي حركة الحداثة الإسلامية وأحد دُعاة الوحدة الإسلامية في القرن التاسع عشر، جاب دول العالم الإسلامي ومدن أوروبا لندن وباريس واستقر أخيرًا في الأستانة "إسطنبول حاليا..

**محمد عبده: مفكر وعالم دين وفقيه وقاضي وكاتب ومجدد إسلامي مصري(1849م – 1905م)، يعد أحد دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي ورمز للتجديد في الفقه الإسلامي، ساهم بعد التقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية إسلامية في أواخر القرن التاسع عشر

[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1،ص 61.

[3] محمد بوذينة : ص114.

[4] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1،ص ص62 – 63.

المنصب ، فأخترت لنفسي دروسا على أجلة الأساتذة ، كالشيخ " النخلي " في التفسير والشيخ " محمد بن يوسف" في البلاغة ، والشيخ "الصادق النيفر" في الفقه ، والشيخ " محمد بن القاضي " في النحو والصرف ، والشيخ " محمد بن شعبان " في المنطق والفلسفة والشيخ " معاوية التميمي" في أداب واللغة العربية).

وقد كان المدني يلازم الدروس عشر ساعات كل يوم دون انقطاع ، تبتدئ بعد صلاة الصبح وتنتهي بعد أداء صلاة العشاء ، مع ما يتخلل ذلك من حفظ لمختلف المتون ، كلامية الأفعال ، السلم ، الدرة ، الألفية ، وغيرها[1]، كما انتسب إلى المدرسة الخلدونية لتلتقي الرياضيات والتاريخ ، والعلوم العصرية ، وهي تعد تكميلية للدراسة الزيتونية ، وفي هذه المدرسة تقيد المدني بمنهاج دراسي دقيق ومن ابرز ما نهله بها ، مادة التاريخ على يد الأستاذ الجليل : "حسن حسني عبد الوهاب" المؤرخ الشهير ، الذي أخذ عنه الحكمة ، وفصل الخطاب أيضا، وما لبث أن قويت الروابط بينهما ، ليقوم الأستاذ بإهداء مجموعة كتبه إلى تلميذه ، وقد تأثر كثيرا به ، ويبدوا ذلك جليا في التوجه التاريخي لحياته العلمية ، ومما يمكن التنويه به أن كليهما قد وفق لعضوية مجمع اللغة العربية .

لقد كان الرجل شغوفا بالمطالعة ، فصار يستعير الكتب لقاء أجر زهيد ، حيث أن سوق الروايات الكبيرة كان يومئذ في رواج ، واشتهر الشيخ" علي بو غدير " بدكانه المخصص لبيع وكراء الكتب ، فيأخذ المدني رواية لمدة ثلاثة أيام مقابل دفع 10سنتيمات واستطاع أن استثمر وقت فراغه في مطالعة الروايات المعربة عن كبار المؤلفين الأوروبيين أمثال "وليام شكسبير" و"ميشال زيفاكو" ، وهو ما فتح له نافذة اطلع من خلالها على تفكير العالم الغربي[2] ، ولعل من ابرز مظاهر الإرادة القوية ، والرغبة في نهل المعارف ، أن جعل المدني من سنوات سجنه مدرسة طور خلالها ثقافته ، وطالع شتى الكتب العلمية ، والأدبية

[1] فكري طونا : ص58.
[2] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح ،ج1، ص63 – 64 ، أنظر أيضا محمد بلقراد ، ص 80.

والدينية التي وفرها له أصدقاؤه وأهله ، حيث لم يستسلم لرغبة المستعمر في تحطيمه منذ الصغر.

وبعد إطلاق سراحه من السجن عام 1918م ، رجع إلى ميدان الدراسة ، فواصلها من جديد بالزيتونة[1] ،لكنه انقطع قبل الوصول إلى نهايتها ، وأخذ الشهادة العالمية من الجامع المعمور ، وهذا لانضمامه إلى حركة الكفاح السياسي عقب تأسيس الحزب الدستوري الحر.

وقد كان موقف الشيخ "حمودة المنستيري " من أمر هذا الانقطاع والتوجه الجديد مطابقا للواقع عندما خاطبه قائلا : (أظن أن أمدها قد انتهى ، وفي ساعة كفاح كهذا الكفاح الذي نباشره اليوم تموت غاية الذات ، ولا تعيش إلا غاية الوطن)[2].

والواقع ، وحسب الدكتور " فكري طونا " فإن أي انتقاد ، أو لوم "لأحمد توفيق المدني " على تصرفه هذا بانقطاعه عن الدراسة ، لا يكون في محله ، عندما ننظر إلى الأمور نظرة موضوعية من خلال الظروف والأحداث التي أجبرته على اتخاذ مثل هذا القرار الخطير[3].

ويخلص الدكتور "عمر بن قينه" إلى أن الرجل قد جنح إلى تكوين نفسه بنفسه ، فكان موهبة فذة تكونت ثقافيا بعصامية نادرة ، ثم دخل معترك الحياة الفكرية ، والأدبية من باب السياسية ، وشرع في فترة مبكرة يشترك في النشاط السياسي بتونس[4].

---

[1] فاطمة تازير ، فضيلة نكور : أحمد توفيق المدني 1899-1983، **مجلة التاريخ** ، العدد 18، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985، ص07

[2] فكري طونا :، ص 59

[3] نفس المكان .

[4] عمر بن قينة : أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي ، موقع wu– 00/283 /study 00/book /org .dam-a-ind /k–00 book-htm-sd001. WWW.a

المطلب الثاني : العوامل المؤثرة في تكوين شخصية أحمد توفيق المدني :

لم تشير الدراسات السابقة عن ذكر بعض العوامل التي ساهمت وبشكل كبير بالتأثير في شخصية مترجمنا متناسين بذلك بعض الأحداث ، التي بالرغم من بساطتها إلا أنها كانت لها التأثير الكبير في صقل شخصيته ولقد قسمناها إلى بيئة أسرية أوضاع وطرق اجتماعية وسياسية وهناك شخصيات مؤثرة في شخصيته وأحداث وروايات صقلت تفكيره وعليه نستطيع أن نذكر منها أهمها:

- **البيئة الأسرية :**

أثرت البيئة الأسرية في شخصية "أحمد توفيق المدني " لان أسرته عرفت بالأسرة الثورية الرافضة للاستعمار ، فلقد كان منذ صباه يستمع ما يدور في مجالس عائلته[1] وهو في سن السادسة من عمره حيث عبر عنها قائلا : " ...كانت تروى على مسمع مني ...وقائع معينة عما قساه شعبي "[2]، من دروس قاسية وعنيفة حول أحاديث القتال والمقاومة والتضحية ، ولقد تجاوب معها في العديد من المرات وتأثر بها مما يدل على ذكائه وفطنته وسرعة تقبل[3]، لان مناخ العائلة كان بمثابة المدرسة الأولى التي جعلت منه مدرسة ثورية ثائرة ، فأمه "عائشة بويراز" عملت على تعليمه سور من القران الكريم وبعض الأحاديث النبوية[4] ، وكل هذه التعاليم ساهمت في تكوين شخصيته ذو تربية حسنة وخلق حميد ، أما أبوه فقد اجتهد هو كذلك في تربيته أحسن تربية ، وكان يستفيد المدني كثيرا من نصائحه وإرشاداته ، بينما دار جده – أي والد أمه – فساهمت هي الأخرى في تكوينه وعبر عنها بقوله : "...كانت دار جدي مدرسة حقيقية ، سامية الأهداف ..."[5] .

[1] محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين ، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1985، ص263
[2] أحمد توفيق المدني : ص ص 22-23
[3] نفسه: ص 23.
[4] نفسه: ص 39.
[5] نفسه: ص ص 40- 41.

بالإضافة إلى دار خاله "محمد بويراز" كان لها الأثر البالغ والكبير فكانت بمثابة المدرسة التي أنارت فكره وأيقظت أحاسيسه حيث ذكر قائلا: (هي المدرسة التي أنارت فكري ...وألقت بي في ما يدين الحياة العامة)، إن أول الأعداد من الجرائد التي قرأها المدني بشغف "العروة الوثقى والمؤيد واللواء " حيث اطلع على أخبارها الجديدة ولم يسبق له معرفتها من قبل ، بالإضافة فان تواجده بدار خال أمه جعلته يتصادم مع حقائق كان يعيشها المجتمع التونسي من المناظر المخلة بالحياء وانتشار الرذائل ظنا منه انه على حسب معيشته في وسط عائلي محافظ وثري هو نفسه ما يعيشه المجتمع التونسي[1].

- **الأوضاع والطرق الاجتماعية والسياسية** .

بمقتضى اتفاقية المرسى في 08جوان 1883م التزمت الحكومة التونسية بإجراء الإصلاحات الداخلية من إدارية وعدلية ومالية التي تراها فرنسا مناسبة لمنح الباي حق الولاية على الرعاية التونسيين وإدارة شؤونهم الداخلية[2] ، وهذه الاتفاقية ذكرت لفظة الحماية * لأول مرة[3]، والملاحظ أن حكام تونس خلال هذه الفترة كانوا يخضعون للمقيم العام الفرنسي مما أدى لتفاقم الأوضاع الداخلية وتدهور معيشة السكان من خلال إطلاق يد المستوطنين في نهب خيرات البلاد[4]، فعقب انتصاب الحماية نشأت الحركة الوطنية التونسية بكل أقطابها[5]،وهذا ما شهد تأثيرا كبيرا لطبقة العمال وأقطاب الفكر من الجزائريين والتونسيين على الساحة السياسية والفكرية في تونس ، وكان منهم خلال بداية القرن 20م "الشيخ أحمد الورتلاني " وغيره ، هذا ما جعل "أحمد توفيق المدني" ضمن هذه الكوكبة الذين وجدوا أنفسهم معنيين بالدفاع عن مطالب الشعب التونسي[6].

ومما ذكره كذلك في مذكراته أنه عاصر أحداث محزنة في حياة الأمة الإسلامية ، وعلى وجه الخصوص الانقلاب الذي حدث عام 1909م ضد السلطان "عبد الحميد الثاني

[1] أحمد توفيق المدني : ص ص 49-50.
[2] عبد الوهاب حسين حسني : خلاصة تاريخ تونس ، دار الكتب العربية الشرقية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1953م،ط1،ص170.
[3] عبد القادر خليفي : ص03.
[4] بوعزة بوضارسية : رواد المدرسة التاريخية الجزائرية ، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007، ص ص 334- 335.
[5] عبد القادر خليفي : ص04.
[6] بوعزة بوضارسية : ص339.

"*، بالإضافة إلى الغزو الايطالي لطرابلس سنة 1911م، التي على إثرها "جمع توفيق المدني "، حوله بعض المتحمسين من أبناء المدرسة يطوفون بالحارات والمقاهي للتحريض على الجهاد ، محاولا في نفس الوقت جمع المال لهلال الأحمر العثماني[1]، إضافة إلى حماسته لخطاب الناس وإلقاء قصائد "الرصافي " قائلا : "... إلا انهض وشمر أيها الشرق للحرب ..."، وكل تلك الخطب أدت واجبها بإزالة الخمول والتخاذل عن التونسيين لتكتسي بذلك ثياب البطولة[2] ، بالإضافة إلى ، أحداث الزلاج 07نوفمبر 1911م " التي أحدثت ردود فعل غامضة ما جعلت "أحمد توفيق المدني " ، يضطرم غضبا وحقدا على الإيطاليين والفرنسيين بسبب المجازر التي ارتكبوها بغير حق ،وكل هذه الأحداث تركت أثر بليغا في شخصيته ، وهكذا قادته جرأته في مواجهة السياسية الاستعمارية في تونس بمختلف الوسائل وهذا ما سيتضح أثناء تناولنا لنشاطه في كلا القطرين ولإنتاجاته الفكرية والتاريخية[3] .

- **شخصيات مؤثرة :**
- **عبد العزيز الثعالبي :**

أثناء حفل مقام بالمدرسة القرآنية الأهلية ، برز من بينهم أحمد توفيق المدني الذي أنزعج مما ألقاه " عبد الله بن مصطفى "* ، على وسام شرف الفرنسي "ليجيون دونور " بسبب خطابه الممجد لفرنسا وأعمالها[4]، صعد المدني للرد علة أقواله مع مجموعة من الطلبة من خلال نشيد ألقوه أمام الحضور ، بحيث لقيا استحسان وتقبل كبير وقام من بين الحضور "عبد العزيز الثعالبي"** ، ليخطب بكل حماسة في وسط ذهول وإعجاب كبير من مترجمنا ، ما أوقد نارا داخلية وما أشعله حماسه قائلا :"...كان ذلك اليوم حدا فاصلا بين عهد الطفولة

---

[1] أحمد توفيق المدني : ص 65.

[2] نفسه : ص ص66- 67- 68.

[3] أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ،ج1 ، ص ص 74- 76.

*- عبد الحميد الثاني : كان ملكا في زمانه أوتوقراطيا ، يمتاز بالدهاء وبعد النظر والإصلاح ، وإذا كان قد ظهر منه شيء من الاستبداد فتلك كانت مقتضيات الحكم في دولة تنهشها الذئاب من كل جانب .ينظر : بشار عبد الكريم الجمل وأخرون ، معجم الشخصيات التاريخية والعربية ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،2007م، ص ص 218-2019.

- الزلاج:هي مقبرة توجد بتونس ، انتهكت الحكومة الفرنسية حرمتها محاولة مد خط الترام الكهربائي فيها ، فقام الشعب التونسي بثورة للتعبير عن غضبهم ، التي راح ضحيتها العديد من القتلى التونسيين و3أو 2 من الفرنسيين والايطاليين ،

- ينظر : جمال هاشم الذويب وأخرون ، الموجز في التاريخ العربي ، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، ليبيا ، 1997م، ص 376.

[4] أحمد توفيق المدني : ص 48.

...وعهد الشباب العامل المضحي ..."، مشيرا بتأثره قائلا : "... من سمعني أخطب ، فكأنما يسمع الثعالبي في لهجته ونبراته ، وقوة عارضته وشدة شكيمته ..."[1].

- **الأستاذ حسين الجزيري ، الصادق الرزقي ، حسين حسني عبد الوهاب :**

أعجب أحمد توفيق المدني بمقالات "حسين الجزيري" خصوصا مقاله ضد الخمر[2]،الرامي لإصلاح المجتمع المنحل ، حيث تأثر هذا الأخير بها والتي أعطت انطباعا وتوجها إصلاحيا وهذا ما سيظهر لنا من خلال مقالاته المنشورة أثناء انضمامه لجريدة الفاروق وغيرها من الجرائد ، أما "الصادق الرزقي"*** كان يتردد إليه مترجمنا على مكتبه بالمدرسة الخلدونية لإعجابه بآرائه[3]، فقام بإهدائه مجموعة من الكتب تحتوي على إهداء كان له دور بارز في التأثير العميق على شخصيته، مما خلق له اندفاعا كبيرا نحو إنقاذ الوطن وإعادة المجد للإسلام ، بالإضافة إلى الأستاذ "حسين حسني عبد الوهاب " الذي قام بتدريس المدني في جامع الزيتونة مادة التاريخ، واستطاع أن يحببه في التاريخ ويبدو ذلك جليا في التوجه التاريخي لحياته العلمية .

-عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي :

يعتبر النضج المبكر واتساع أفق مترجمنا إلى التقائه مع الشيخين "عبد الحميد بن باديس" و "محمد البشير الإبراهيمي " ، اللذان كان لهما الأثر الكبير في شخصيته وحياته من خلال دفعه للتحرك السياسي مع الزعيم التونسي " عبد العزيز الثعالبي"[4]، وهذا سيظهر جليا أثنا تعرضنا لنشاطه بالجزائر ، حيث كان "أحمد توفيق المدني " كثير الإعجاب بهما خصوصا عبد الحميد بن باديس[5].

[1] نفسه: ص102.
[2] نفسه : ص ص 97- 98.
[3] نفسه : ص ص 97- 98.
[4] بسام العسلي : عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة ،(د.ط)،(د.س) ، ص 170.
[5] صالح علواني :ص 11.

- **العلامة ابن خلدون :**

تأثر به باعتباره عالما مغاربيا ولد مثله في تونس وعاش مثله ازهي فترات حياته في الجزائر ومصر ، فحسب ما ذكره الدكتور " مولود عويمر" إلى انه يوجد تشابه بين الرجلين كما اخذ عنه في أعماله التاريخية واستشهد في كتاباته واثني عليه وكل ذلك ظاهر في تعامله مع الحادثة التاريخية في كتاباته ، كما أشار أيضا إلى أن احمد توفيق المدني طالب بإنشاء كرسي باسمه في الجامعات العربية خاصة بعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ ، كما اقترح تأسيس لجنة من الباحثين تجمع تراثه وتحققه تحقيقا علميا ، وكل هذا يبرز لنا مدى تأثره الشديد واحترامه الكبير للعلامة ابن خلدون[1].

-حوادث مؤثرة في شخصيته :

- حادثة سينما النونيز:

قصة الحادثة هي أن "أحمد توفيق المدني " ذهب مع ابن خاله إلى السنيما بها أغلب الحضور أجانب "يهود ، فرنسيين ، ايطاليين" ، وأثناء ابتداء العرض قد لهم شريط أخبار ايطالي يروي قصة نزول الطليان في طرابلس بصفته غير واقعية كاستهزاء بالعرب ، هذا ما أيقض الروح الثائرة به فأخذ يصيح " هذا تدليس ، هذا كذب ، هذا تضليل "[2] ، فبالرغم من بساطة الحادث إلا أنه كان له المدلول الكبير والأثر البالغ في تكوينه الثائر[3] ، والحاقد على كل من الإيطاليين والفرنسيين واليهود ، وهذا واضح في كتاباته[4].

- **دكان علي بوغدير :**

هو دكان صغير بسوق الكتيبة ، يحتوي على العديد من الكتب ، فلقد كان يمثل المأوى الذي يرتاح فيه من خلال اقتنائه لاشهر الروايات أمثال "شكسبير" "Shakespeare "

[1] نفسه ، ص 12.
[2] أحمد توفيق المدني :ص 85.
[3] نفسه: ص85-86.
[4] نفسه: ص87.

و"ميشال زيفاكو" "michel zivako" فقد اكتسب من خلالها معارف جديدة فتحت أمامه نافذة واسعة على عالم كان مجهولا بالنسبة له[1] .

- **روايات صقلت تفكيره :**

- **رواية الوطن ونشيد صوت الحرية :**

هي رواية تمثيلية كتبها الشاعر التركي "نامق كمال"[2] ، وقام بتعريبها "محي الدين الخياط " ، ساهمت في توجيهه بدرجة كبيرة لأنها عملت على ترتيب وتهذيب وإحداث انسجام في أرائه وأفكاره ، خصوصا تأثره بشخصية "إسلام بك " في القصة ، أما نشيد صوت الحرية والوطن هو كذلك تأثر به ، فلقد كان يمثل الإحساس الذي يخالجه ولا يستطيع التعبير عنه[3].

المطلب الثالث : وفاته

لقد تعرض "أحمد توفيق المدني" في العقد الأخير من عمره لأزمات صحية متعددة على مستوى القلب بعد الحملة الانتقادية العنيفة التي تعرض لها من قبل تلامذة جمعية العلماء المسلمين وغيرهم من المفكرين ، فشاءت الأقدار أن يرحل عنا الأستاذ أحمد توفيق المدني وتصعد روحه إلى جوار ربها فجأة وكان ذللك صباح يوم الثلاثاء الموافق لـ 18 أكتوبر 1983م ، بمسكنه العائلي بالأبيار – الجزائر العاصمة – كما لم تشيع جنازته يوم وفاته بل شيعت في اليوم الموالي انتظارا لوصول الوفود ومن بينهم عائلة " المدني " المقيمة بتونس ، وشخصيات وطنية و تاريخية وفي أجهزة الحزب والدولة وعلى إثر وفاته قدم الكثير من الباحثين والمفكرين كلمات تأديبية في حقه نذكر من أهمها :

---

[1] نفسه : ص ص96- 97.

[2] نامق كمال : هو أديب تركي مشهور وصحفي ورجل دولة ، كما أنه شاعر من رواد القومية التركية وينتمي لحركة العثمانيين الشباب ولد في 21 ديسمبر 1841م في تاكير داغ وتوفي في 2ديسمبر1888م عن عمر يناهز 48عاما ، عرف بشاعر الوطن والحرية ، وقد اثأرا ، وأعمالا متنوعة بين الشعر ، والنقد والبيوجغرافيا ، والمسرح والرواية والتاريخ والمقالة ، زمن أشهر أنتاجه الأدبي رواية "انتباه " وعمله المسرحي "وطن ياخود سلسترا "

[3] أحمد توفيق المدني : ص ص 91- 93 .

الدكتورة "أنيسة بركان " في كلمة تأديبية قائلة : "يشرفني أن أشاهم مع الباحثين بهذه الكلمة نرفعها بقلوب خاشعة ترحما على أبينا الروحي وأستاذنا المبجل الشيخ توفيق مدني ... وإنه أحد أبناء الجزائر البررة الذين كرسوا حياتهم من أجل عزة وكرامة وطنهم ، وشخصية فذة جديرة بالاحترام والتقدير ، كلامه حكمة وعلمه جهاد ،اكتسب جهده وكفاحه ... علما واسعا وثقافة رفيعة ... ويعد من البحاثة البارزين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في بلادنا خلال فترة خطيرة ..."[1].

كما وصفه " بشير مدني" بأنه حقا عملاق وزكاه أيضا " أبو القاسم سعد الله " قائلا: أنه: عملاق بمواقفه عملاق بدوره، عملاق خاصة بإنتاجه وكتاباته التي كانت بحق المدرسة الوطنية التاريخية " ويضيف قائلا :"إنها فعلا حياة كفاح نذرها لوطنه علما وفكرا ... وحينما تقدمت به السن لم يكل ولم يمل بل استقر بمركز الدراسات التاريخية مدة سبع سنوات إلى أن وافته المنية، فما أحوجنا في زمن الرداءة هذا إلى ممثل هؤلاء الرجال".[2]

كما القى المرحوم الشاعر " الهادي الحسني " قصيدة رثى بها المرحوم وقد نقشت على قبره :

قف ففي أحمد المدني * هو توفيق شريف الرضي**

هو المغرب الكبير والإسلام * ذلك المناضل العربي**

ربنا اجعل مثواه الجنة عدن * أين في الخلد جده الهاشمي[3]**

[1] اتحاد المؤرخين الجزائريين ، المدرسة التاريخية الجزائرية ، ط1، وسام نبراس للإعلام والنشر ، والإشهـار ، الجزائر ، 1998 ، ص ص141- 144 .

[2] اتحاد المؤرخين الجزائريين ، المرجع السابق ، ص149 .

[3] عبد القادر خليفي ، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899- 1983 ، ص 253 .

المبحث الثاني : الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني وآراء المعاصرين حولها

المطلب الأول : مؤلفاته

ألف الكثيرون عن أحمد توفيق المدني جملة من المؤلفات صالت وجالت من مختلف فنون العلم والأدب والتاريخ نذكر منها :

- **تقويم المنصور :**

صدر هذا الكتاب سنة 1922م الجزء الأول وضم 320 صفحة[1] ، والجزء الثاني صدر في تونس سنة 1923، بالإضافة إلى الجزء الثالث صدر بتونس، أما الجزء الرابع فصدر في الجزائر سنة 1926 [2] .

- **قرطاجة في أربعة عصور :**

صدر سنة 1927 [3] ، ضم 176 صفحة يتناول فيه تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرجاطة بالكشف عن تلك القرون الممتدة ما قبل التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، وأسباب البحث في الحقبة تعود إلى كون المؤرخين العرب وبدون استثناء إلا ابن خلدون ، أنهم لم يدونوا تاريخ تلك الفترة بصفة واضحة وانصب الاهتمام بالحقبة الإسلامية، إذ خصوها بأسفار عديدة وذلك كان إهمال الحضارات السابقة للفتح العربي دافعا لسد تلك الفجوة لان التاريخ المغاربي لا يبدأ من العصور الإسلامية فقط ولكن لهو جذور تمتد إلى عشرين قرنا، وتوفيق المدني يلتقي مع الميلي في النظرة إلى بدايات التاريخ الوطني بدون أي تعصب للدين الإسلامي، كما أن كتاب قرطا جنه كان استجابة لإرادة بعض دعاة الإصلاح أمثال عبدا لحميد ابن باديس والبشير الابراهيمي وغيرهما ، واشترطوا علية من حيث المحتوى

[1] احمد توفيق المدني : حياة كفاح، الجزء الأول، ص439.
[2] النفسه ، ص123 .
[3] ينظر الملحق رقم (9) ، ص 115.

على مزاعم بعض المفكرين الفرنسيين الذين عملوا على تشويه هوية وأصالة هذه المنطقة ، وذكر توفيق المدني انه رد خرافة المغرب اللاتيني التي نادى بها الاستعماريون مثل لوري بورتزان[1].

وقد أنجز تحرير هذا الكتاب وقام بتنقيحه كما اختار له أبدع الصور الأثرية لم يسبق نشرها إطلاقا من طرف عمر راسم ذو شكل واضح ، وقدمه للطبع بتونس في دار المطبعة الأهلية ثم أعلن عنه في الصحف بالشمال الإفريقي عامة وما انتهى الشهران الأولان حيث كان عدد المشتركين يكاد يغطي عدد النسخ المطبوعة ، وقد أخذ توفيق المدني بنظرية ابن خلدون حول النشأة والنهاية للدول فقال بأنها كالأفراد تنشأ ثم تنمو ثم تكتهل[2].

- **كتاب الجزائر :**

أصدر في سنة 1930م [3] ، بعد إن قضى أربع سنوات في الجمع والترتيب ، احتوى الكتاب على 382 صفحة ، ومن بين الأسباب التي أدت إلى تأليفه لهذا الكتاب [4] ، هي الاحتفالات المئوية التي أقامتها فرنسا، احتفالا بمرور مئة عام لاحتلالها للجزائر [5] .فالكتاب كشف الزيف الاستعماري والخرافات ودحض مبدأ فرق تسد ، خاصة عندما جعل هذا الأخير الميزابيين في نظر السنين شر من اليهود ، ونوه على الاختلاط وتماسك العناصر السكانية في الجزائر، وقد وحدهم في ذلك الإسلام ، الكتاب مهدى إلى الشباب المسلمون في أرض الجزائر وألح على دورهم في الحياة ومصير الأمة ، فهم يجهلون تاريخ بلدهم ، وطبيعة نظمه ، وقوانينه ، وعناصر حالته الأدبية وقوته الاقتصادية ، هذا ما أحدث فيهم إحساس

[1] ميسموم بالقاسم : الكتبات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (مخطوطة) 1830 – 1962 ، دراسة تحليلية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2011 -2012 ، ص 176.
[2] ميسوم بلقاسم :، ص 179.
[3] ينظر الملحق رقم (01) ، ص107
[4] أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر ، (د- ط) ، منشورات رويبة ، ANEP ، الجزائر ، 2010 ، ص 18.
[5] عبد القادر خليفي : ص 108.

بأنهم غرباء عن وطنهم وحثهم على الاجتهاد والاتحاد والنشاط والوطنية ، وأن يتخذوا (الإسلام ديني ، اللغة العربية لغتي ، الجزائر وطني) 1 شعارا لهم .

[1] بكارة جودي : المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري ودراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الاشرف ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 2008- 2009م ، ص 193.

ولعل سعى أحمد توفيق المدني إلى لإثبات وحدة الشعب الجزائري المتجذرة فيما سبق من العصور ، كانت من أولى غاياته ومراميه ، وهذا ما جعل الكثيرون يستنتجون هذه الحقيقة للوهلة الأولى عند تصفحهم له فها هو سعد الدين بن شنب يقول عنه : (أن الكتاب من صفحته الأولى إلى صفحته الأخيرة ما هو إلا محاولة من صاحبه لإثبات أن الجزائر لا يمكن دمجها أو إلحاقها بفرنسا ، وإنها تملك شخصيتها المتميزة)[1].

ومن خلال ما سبق ذكره نجد أن حصة المواضيع التاريخية قليلة جدا ، والمقصود بها التأريخ للدول الماضية ومدى تواجدها وحضارتها ودور الجزائريين عبر التاريخ ، وتأليف هذا الكتاب دليل عن الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية ، أما المضمون التاريخي الذي أريد به ، هو تقديم الحالة الشخصية للجزائريين بإثبات مراحل تاريخهم وحضارتهم وذلك ليجعل منهم امة قائمة الذات وان إدماجها في فرنسا لا يعني شيئا غير تمويه للحقيقة التاريخية وتشويها للماضي[2]، ويظهر أن " مبارك الميلي " و" أحمد توفيق المدني " ، يلتقيان في إظهار شخصية البربري والعربي عبر التاريخ ، على أنها شخصية لا تذوب في الغرير ، وان الجزائريين يقطنون هذه المنطقة منذ القديم ، ولأجل أن "يحفر الخندق بين الجزائريين والاستعمار " كما يعبر احد منظري الاستعمار نفسه فان " احمد توفيق المدني " ، إلى جانب الصورة القاتمة التي يقدمها عن الاستعمار الروماني بالجزائر ، يقدم صورة مشرفة مليئة بالتمجيد للفتح الإسلامي ، والحضارة التي جاءت معه ، وإذ يقول هذا الأخير : " رأى البربر أن الفاتحين الجدد يختلفون كل الاختلاف عن الفاتحين الأقدمين وراو أنهم لأول مرة في تاريخهم اعتبروا سادة ولم يعتبروا عبيدا ورأوا أنهم بواسطة المساواة الإسلامية يمكنهم إن يحققوا رغبتهم فأقبلوا على الإسلام يدخلون في دين الله أفواجا.

أما الأتراك فلهم الفضل في كونهم من أنقذوا البلاد من المخالب الأيبيرية ، ويبدوا أن العرض التاريخي الموجز كان بمثابة مدخل للتعريف بالجزائر، وذلك فان الحجم الأكبر

---

[1]- جيلالي الضيف : بناة المجد توفيق المدني ، طبعة خاصة ، دار الخليل ، الجلفة ، 2013، ص 157.

[2]- الطاهر عموري : النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية القرن العشرين إلى مابين الحربين العالميتين (د- ط) ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 2009، ص 185.

للكتاب يتمثل في القضايا الراهنة (1830م) والتي عرضها وأعطى أبعادها ، وانتقدها واقترح البديل[1].

- **محمد عثمان باشا (داي الجزائر):**

صدر هذا الكتاب[2]في 1938م ، تناول فيه احمد توفيق المدني حياة محمد عثمان باشا أحد دايات الجزائر فقد عالج فيه مرحلة من أهم مراحل التاريخ الجزائري إلا وهو التواجد العثماني بالجزائر[3]، تضمنت مقدمة الكاتب وأفرده المؤلف للشيخ "عبد الحميد بن باديس " 4 كما ركز على المذابح التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في الجزائر وقارنها مع قمع الأتراك لمختلف الثورات ليبرز فظاعة الفرنسيين مقارنة بالأتراك ، وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام وتعد الأقلام التي تناولت هذا العهد لم تكتب كلها نزيهة ، فالكتابات الاوروبية متشبعة بالروح الدينية والسياسية ، أما المصادر العربية فهي أقل من مثلتيها الاوروبية كما إن علماء الجزائر في العهد الفرنسي لم يهتموا بهذا العهد .

- **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا :**

صدر هذا الكتاب سنة 1946م ، ويعد أول كتاب عن صقلية باللغة العربية[4] ، بداية الكتاب كانت مع "تقويم المنصور" إذ ذكر تاريخ صقلية في بعض البحوث ، وبعد مدة عكف على دراسة الموضوع بطريقة علمية واسعة حول جغرافية صقلية وتاريخها القديم[5]، واحي به تاريخ صقلية في العهد الإسلامي منذ الفتح إلى الانهيار، أي خلال ثلاثة قرون ونصف ، وقد شمل تاريخ الولاة والملوك والوقائع الحربية[6] ، وعن محتوى الكتاب ، فقد قسمه الى مقدمة وتسعة أقسام[7] .

---

[1] ميسوم بلقاسم : ص 186.
[2] ينظر الملحق رقم (07) ، ص113.
[3] أحمد توفي المدني محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791) سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده (د- ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ص 17.
[4] مسعود كواتي : شخصيات جزائرية مواقف وأثار ونصوص ،ط1، دار طليطلة ، الجزائر ، 2011، ص231.
[5] بكاكرية جودي : ص 194.
[6] محمد الصالح الصديق : شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية ، (د – ط)، دار الأمة الجزائر ، 2010، ص337.
[7] عبد القادر خليفي: ص ص 114- 113.

ويتحدث أحمد توفيق المدني عن هذا الكتاب وأسباب نشره حيث يقول : "واني بالنادي عشية ، إذا جاءني عون سري يطلب إلى الذهاب فورا لدار العمالة ، لماذا؟ لا ادري وذهب ودخلت مكتبا بالدور الأول ، إذ بموظف فض ، ما رأيت من قبل موظف مثله في شراسته وسماحته وقلة أدبه ، يقول لي منذ دخلت أنت المدعو توفيق المدني ؟ قلت بشدة :أنا هو فماذا تريد مني ؟ قال لي بشدة أعنف كلفوني بأن أبلغك إنذار نهائيا لا يكون بعده إلا ارتكاب وسائل أخرى نود أن لا نصل إلى استعمالها أن الحالة حرجة وأنت مستمر حسبما علمنا بتأكيد على سلوك سياستك العدوانية الطائشة ، وأقوالك التي يمكن اعتبارها إجرامية " .

- **جغرافية القطر الجزائري :**

طبع هذا الكتاب بالجزائر سنة 1948م ، وهو أول كتاب[1] من نوعه باللغة العربية موجه إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين ، سد هذا المؤلف فراغا كبيرا ، وربط فيه بين التاريخ والجغرافيا ، وملأه بالمشاعر السياسية الوطنية[2] ، وقد جاء في تقديم المدني لكتابه قوله : " فهذا أول كتاب جغرافي ، وضع عن القطر الجزائري المحبوب "وخاطب الشبان موجها رسائل سياسية عميقة ، فكتب : " أيها الشباب المسلم الجزائري على حب الوطن ينشأ شبان الدنيا قاطبة فهم في سبيل أوطانهم يعيشون وفداء أوطانهم يستشهدون "[3] حيث قسم الكتاب إلى أربعة أقسام .

- **حنبعل :**

وهو كتاب صدر سنة 1950م وهو عبارة عن مسرحية تاريخية كتب في المقدمة "إلى الشباب المغربي ، حامل راية الكفاح ، في سبيل حرية الأمة وشرف الوطن ، أقدم هذه الرواية التي تحيي صفحة من جهاد أبطاله الأولين ، وفيها عبرة وذكرى " وأوضح فيها أحمد توفيق المدني خفايا تأليف هذا الكتاب في مذكراته : " لا اكتم الحقيقة ولا أكذب التاريخ لقد كان للخطيبات المتوالية في ميدان السياسة بالشمال الإفريقي وكان للنكبة العارمة التي

[1] ينظر الملحق رقم (02) ، ص108.
[2] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7، ص 420- 421.
[3] أحمد توفيق المدني : جغرافية القطر الجزائري ، (د - ط) ، المطبعة العربية ، الجزائر ،1948م، ص3.

دهمت العرب والمسلمين في فلسطين ، واقع أليم جدا على كل الطبقات الجزائرية ، فأصاب الكثير منها يومئذ نوع من اليأس القاتل ، لكننا نشعر بوجوده وبانتشاره وكنا نخشى تفاقم أمره ، قلت في نفسي : ولماذا لا أجرب المسرح ؟ وأن رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس ، وتلقي عليه أثناء حوارها ما يجب أن يقال من أجل التغلب على الصعاب والصبر والثبات ، وعن اختيار الموضوع يقول : " لقد اخترت هذا الموضوع بالذات ، لأنه يتعلق أولا بميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية لأول مرة في تاريخها ، دولة ذات معالم معينة ، حدود مرسومة فوق تراب شكلت منه أرض الوطن ، وتكونت فوقه وحدة سياسية اقتصادية واجتماعية ، بعد الوحدة الدينية التي كانت القاسم المشترك الأعظم ، وقامت على رأس دولة لا تنسب إلى عائلة ولا لقبيلة ، إنما تنسب لوطن معين ثم اخترقت هذه الدولة في ميادين الكفاح والجهاد ، ثلاثة قرون ونيف مرفوعة الرأس ، خفاقة الإعلام، سائرة ضمن دائرة الخلافة العثمانية نحو استكمال السيادة المطلقة والاستقلال التام ...ثم اخترته ثانيا لان هذه الدولة الجزائرية الأولى ، قد برزت إلى الوجود وشبت وشابت ، نتيجة لحملة صليبية استعمارية ..." .

- **هذه هي الجزائر :**

قام بتأليف هذا الكتاب[1] سنة 1957م ، بالقاهرة تحدث عنه بقوله : " لم اكتبه للدعاية وإنما كتبته تسجيلا للواقع وتعريفا بهذا القطر ، وبهذا الشعب "[2]، فهو يعتمد على الصادق من أنباء التاريخ ، وعلى الثابت من أرقام الإحصاء ، ويصف الحالة الحقيقية كأنها صورة طبق الأصل فلا مبالغة ولا تهويل ، ويقول في هذا الصدد : من هذه الأمة التي أدهشت العالم بجهادها وبهرت الدنيا بثباتها أمام أعظم قوة استعمارية ، واشرأبت إليها أنظار سائر الشعوب تشهد على يدها مصرع الظالمين وتمزيق أخر صفحة من صفحات الاستعمار الدنيء القذر؟ تلك هي أمة الجزائر وذلك هو قطر الجزائر تلفت هذه الأمة من أجدادها فوق أديم هذا الوطن علما وسيفا وضميرا وتوارثت ذلك كابرا عن كابر منذ أقدم العصور، فماسقط

[1] ينظر الملحق رقم (08) ، ص114
[2] مسعود كواتي : ص236

ذلك العلم ، علم الحرية من شهيد حتى تلقيه أيدي الذين يقتلون في ميدان الشرف حطاه .

- **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492- 1792:**

صدر هذا الكتاب[1] 1968م ، والكتاب كما هو واضح من عنوانه ، تاريخ أحداث عسكرية وسياسية ، دار معظمها على شواطئ الجزائر أو بمواقع متعمقة بالداخل ، وقد اتسم سرد تلك الأحداث بشيء من الإسهامات والتفصيل ، مما جعل الكتاب من أكثر المؤلفات بالغة العربية توسعا في هذا الموضوع ، وأوفرها مادة [2] ، جاء محتوى الكتاب في تمهيد طويل عن الثلاثة قرون التي سبقت صلة الجزائريين بالعثمانيين ، ويحتوي على تسعة عشر فصلا ، جعل تحت كل فصل عناوين فرعية ، نظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ المشرع على العثور على ما يريد[3]، فقد اختار هذا الموضوع لأنه يتعلق أولا بميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية ، لأول مرة في تاريخها دولة ذات معالم ، وحدود مرسومة ، فوق تراب تشكلت نته أرض الوطن وتكونت فوقه وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية ، بعد الوحدة الدينية ، وثانيا إظهار أن بروز هذه الدولة كان نتيجة حملة صليبية استعمارية عنيفة.

وقد أورد أن هذه الدوافع الأساسية التي دفعته للقيام بهذا الكتاب ويعرف التاريخ على أنه " لا عرض وتحليل ، وتعليل ، وحكم ، فلمؤرخ الحق ، إنما هو حاكم نزيه حر الضمير ، يدرس الوثائق والمستندات يستخرج الحقائق من بين النصوص ويستمع بإمعان مؤولا ما يقوله هؤلاء ، ثم ينظر إلى الملابسات ، ويدرس المحيط ، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا ، أصدر حكمه عادلا ،لا عاطفة ولا رياء ولا محاباة ، وأكد انه يحكم على الأشخاص والأحداث بنزاهة ، وان الإسلام كان عامل أساسي ذو تأثير كبير في تاريخ الجزائر وأبرز الدور البطولي الذي قام به الأتراك في قيادة الشعب الجزائري ضد الغزو المسيحي.

[1] ينظر الملحق (04) ص110
[2] عبد القادر حليفي : ص 116
[3] أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط2 ، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، (د –د – ن) ، (د - س) ، ص ص 348-349.

- **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر :**

صدر هذا الكتاب سنة 1974م ، يغطي الفترة العثماني للجزائر ما بين 1754-1830م ، ويعالج فيه كتاب المذكرات فترات حكم (11) باشا تدخل المحقق فذكر الأحداث التي أغفلها أو أهملها المؤلف بعد ذكر كل ولاية تحت عنوان " الحوادث التي لم يذكرها المؤلف " زيادة إلى التعاليم التي تتعلق بكل فصل في الهوامش شارحا بعض المصطلحات أو المفردات مما زاد الكاتب فائدة وهو محلي بمجموعة من الصور[1]، تناول في المقدمة الهدف من التحقيق في الكتاب وهذا لإظهار الجانب الايجابي للمرحلة العثمانية في الجزائر عكس ما يدعيه الغربيون ، واللغة التي كتب بها نجد بعضها بالعامية ، وقام "أحمد توفيق المدني " بكتابتها بالفصحى وتقسيم الكتاب بطريقة منهجية دون أحداث تغيير في الوقائع التاريخية ، وقد قسمه إلى أحدى عشرة جزء[2].

- **مذكرات حياة كفاح :**

لقد صدرت المذكرات في ثلاثة أجزاء سنوات 1976 -1977 [3]، أما الجزء الثالث[4]كان موعده سنة 1979 إلا أن صدوره تأجل إلى أواخر سنة 1981 ، وهذا يرجع إلى الظروف السياسية التي لم تكن تسمح بنشره في تلك الايام[5]، وهي تشكل زبد المسيرة النضالية للرجل

على المستوى الجسد والفكر فهذه المذكرات بصفحاتها التي تتجاوز الألف والثلاثمائة بل هي بالضبط (1386 صفحة) ، تعطي صورة حية عن نضال رجل وعناده ، وصمود أمة ، وقد أدركت أحمد توفيق المدني الوفاة دون إتمام الجزء الرابع المتعلق بمرحلة الاستقلال وهي فترة دقيقة خضعت فيها الجزائر لكثير من المسخ والاستغلال[6] .

---

[1] مسعود كواتي : ص 237
[2] بكاكرية جودي : ص204
[3] عبد القادر حليفي :، ص 234
[4] انظر الملحق رقم (05)، ص111
[5] أحمد توفيق المدني : حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، (د- ط) ، ج3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982، ص13
[6] عبد القادر خليفي : ص 234.

- **رد أديب على حملة أكاذيب:**

وهو كتاب[1] موثق في الرد على من كذبوا مذكراته وهاجموه[2].

المطلب الثاني : أسلوبه في الكتابة التاريخية

بعد الاطلاع على ما ألفه أحمد توفيق المدني في كتابته التاريخية التي تميزت بتنوع أسلوبه الكتابي وهذا راجع إلى تنوع الفترات التي كتب وتعدد مواضيعه ايضا كما اعتمد المدني على أسلوب الوصف في كتابة مؤلفاتهوذلك للكثير من الظروف والوقائع التي عاشها الجزائريون حيث نقل إلينا الأحداث التي كانت في تلك الفترة الزمنية ومن وجهة نضره وذلك من خلال وصفه لحالة الشعب في الفترة المدروسة [3] ونلاحظ في كتابه المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا قام المدني بتوظف المحسينات البدعية و ذلك في قولة" انبثقت بعد ذلك من الشرق نورا جديدا بسط على صقلية شعاعة مع رجال الاغريق ذوي المدينة الزاهية الزاهرة"[4] وكان أحمد توفيق المدني يكتب بأسلوب أدبي وشيق يجعل القارئ مستمتعا مستمتعا بما يطالعه بعيدا عن اخذ مؤلفاته كمادة تاريخية للباحث التاريخي وقد أورد مولد عويمر لذلك نموذجا : هذه البلاد التي سجلت التاريخ فوق جمالها بين شعبها وكتاباتها صفحة من أروع صفحات البطولة والمجد كذلك ما أقرت به سميرة نساعد أن الأسلوب الأدبي ظهر في تصوره لرحلاته وهو ما جاء في كتابه جغرافية القطر الجزائري " ساحل القطر الجزائري رائع العين ، بديع الجمال ، رائق المنظر .... بحر أزرق زهو سماء صافية وجبال ذات ألوان، كما اعتمد أسلوب الاقتباسات من القرآن الكريم ونتيجة ذلك لتأثره بالحركة الإصلاحية ونشأته الدنية والعربية مثال : ذلك كتابه كتاب الجزائر عندما تحدث عن الحياة الاقتصادية لمدينة تيهرت فقال " وأقبل البربر المسلمون على خدمة الأرض فصبحت تيهارت

[1] ينظر الملحق رقم (06) ، ص112
[2] ميسوم بلقاسم : ص174
[3] احمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 196.
[4] المسلمون في جزيرة صقلية ،ص 33.

حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان "، وما يسجل عن هذا الكتاب وهو كتاب الجزائر أنه يطلق العنان لقلمة ليعبر عن جانب من مشاعره وذاتيته وكيف لا يعرف وهو يكتب عن تاريخ وطنه الذي يريد العابثين أن يطمسوا تاريخه وينكرون عليه حقائق آملين بذلك أن يستطيعوا مسخ الماضي وتحريفه أبنائه عنه ، وكأنه كان يجد المسوغ والمبرر ليفعل ذلك و الملاحظ من ذلك هي الحماسة التي كانت تسرى في جمل تأليفه وعباراته وكأنه ما كان يكتب ليقدم التاريخ ، إنما ليرفع في التاريخ أمته ويسعى الى ربط هذا التاريخ بواقع هذه الأمة بعد أن حاولوا جاهدين لتميع ماضيها وأمجاد ابنائها الأولين ،[1] كما ميز هذا في كتابه "هذه هي الجزائر" بلاغة الثائرة تحتمل عاطفة قوية في حبه لوطنه ومن يقرأ على هذه العواطف الموجودة في نفس توفيق المدني التي تخرجه عن موضوعية وهدوئه ورزانته في التاريخ، أما عن اللغة التي كتب بها أحمد توفيق المدني تدل على دراسة القلمية وسهولة العبارات القوية فلا يشكو نقصا لغويا وكان أسلوبه في الوصف سهلا كذلك اعتمد على وضع الحواشي لشرح بعض المواضيع الخارجية عن محور الموضوع ، لتعريفه للشخصيات ومؤرخين غير أفارقة وأختار صورة أثرية لم يسبق نشرها في اللغة العربية ووضع خرائط تتصدر الكتاب وفي الأخر الكتاب وضع ما أخذه مقتصرا في ذلك العنوان واسم المؤلف كما وضع فهرسة للصور والخرائط وفهرس عاما للمواضع.

كما اعتمد أحمد توفيق المدني في كتبه من المصادر والمراجع والتي كان معظمها باللغة الفرنسية مثل كتاب: أصل البربر لرين Rennes وعلى الرغم من اعتماده على هذه الكتب والمراجع إلا أنه أصدر كتب مهمة وبوجهة نظر قومية مغاربية وباللغة العربية أما المصادر العربية نجد أن المدني اعتمد على كتابين فقط " ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر و" ورحلة الشيخ التجاني "وهي رحلة قام بها التجاني رفقة شيخ الموحدين الأمير أبي يحي التجاني من تونس إلى شرق طرابلس ذهابا وإيابا وأهم ما يتعلق بالجانب المعرفي فيها عندما تعرض لوصف المدينة

[1] جيلالي ضيف ،بوناة المجد توفيق المدني ، طبعة خاصة ، دار الخليل ،الجلفة ،2013 ص 162.

وما ذكر من تاريخها وآثارها وكان ابن خلدون نفسه اعتمد عليها[1]، وقد وظف أحمد توفيق المدني في كتابه (كتاب الجزائر) طريقة غير مألوفة وهي وضعه لخط من أول الكتاب إلى أخره لأي جملة مفيدة تخدم تاريخ الجزائر من الماضي إلى الحاضر أو تعبر عن الشخصية الجزائرية اضافة إلى عن ذلك تمير الكتاب بأسلوب يخلو من الكلمات الصعبة، وفي ما يخص المنهج الذي اتبعه المدني يذكر عبد القادر خليفي أنه اعتمد على المنهج التقليدي السردي في سرد الأخبار ومعرفة مسبباتها واستنتاج نتائجها مراعيا في ذلك التتابع الزمني الذي سيشكل في مفهوم هذا المنهاج محور ذهبيا تجري من حوله الأحداث .

والملاحظ أن أحمد توفيق المدني لم يكن كاتب مقالات فقط بل كان مؤلفا طويل النفس يتناول المواضيع كثيرة سواء كانت تاريخية أو جغرافيا وهذا النوع يبرر ظاهرة هامة في النهضة الأدبية و الثقافية في الجزائر، إذا أنه كان من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يركزوا اهتمامهم على التاريخ الانساني العام في وقت كان نفسه بحاجة إلى البحث والإحياء حيث أن جل تاريخ الجزائر كتب من وجهة نظر واحدة وهي استعمارية بحتة بلا راي و يصفها عبد الكريم بوصفصاف بقوله: " لعله المؤرخ الجزائري الوحيد الذي دمج في أسلوبه بين الذاتية الجزائرية والإقليمية المغاربية في كتابه التاريخية وهو أحمد توفيق المدني الذين بدأ يبحثون في تاريخ الجزائر القديم والحديث المعاصر في العشرينيات القرن الماضي ، ودعا المؤرخ إلى التزام الموضوعية في المعالجة ذات أحاسيس صادقة مبنية على الايمان والإقناع ليسير الاحداث وأن يعد من رواة القصص لا من المؤرخين[2] ، ومن خلال ما ألفه أحمد توفيق المدني وتنوع مؤلفاته التي وضحت معنى التاريخ في نظره والقاعدة التي ينطلق منها التاريخ والهدف الذي تسعى إليه حسب وجهة نظره حيث قال:" وما التاريخ في نظري إلا عرض وتحليل وتعليل وحكم" ورفضه أن يكون تاريخ مجرد سرد للوقائع وحدها دون تأمل وتمحيص وتحليل وإنما التاريخ الحقيقي هو القدرة على التحليل وتطوير الأحداث وتحليل الآراء والنظر في بدايتها ومساراتها وتقييمها وتقييم تأثيراتها والحكم

[1] ميسوم بلقاسم ، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، (مخطوطة) 1830-1962، ص177
[2] عبد الكريم بوصفصاف ، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج 2، دار الحمدي لنشر ، عين مليلة الجزائر ، ص 109.

على مآلاتها وكان ذلك نتيجة للأبحاث التي قام بها في مشروعه الكبير وهو كتاب التاريخ الجزائر عبر العصور تصفيته من التحريفات الغربية بل كانت لديه أهداف سياسية و وطنيه في بعض مؤلفاته مثل كتاب "هذه هي الجزائر" كان الغرض منه دعم الآلة الإعلامية والدعائية الممثلة للثورة الجزائرية وهي جبهة التحرير الوطني كذلك عند تعاملنا مؤلفات أحمد توفيق المدني نجد وكأنه يصف الحالة الحقيقية للجزائر كأنها صوره طبق الأصل فلا مبالغة ولا تهويل بل تنوعت أبعاد المدني في مؤلفاته فلم يقتصر على نشر الوعي الوطني بل وظف التاريخ في كتابة المسرحيات مثل مسرحية "حنبعل" كذلك كان له بعد تضامني أراد به المدني تقوية أواصر الأخوة والتضامن بين الشعوب العربية والإسلامية وهذا ما نجده في كتابه "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا" [1] والملاحظ هنا أن الأستاذ أحمد توفيق المدني لم يقتصر بدراسته على فترة معينة ولم تقتصر بحوثه على عصر واحد وإنما كتب في كل الفترات التاريخية القديمة والحديثة والوسيطة في سرد الوقائع و البراهين لها وربما هنا ما يجعلنا نتوقف قليلا، فشمولية المجال الزمني وطول مدته وتنوع المواضيع جعلت المؤلف يتبع اسلوب الاختصار ربما كان ذلك دون قصد منه بل وربما يعود ذلك إلى طبيعة الفترة التي ألف فيها أحمد توفيق المدني بعض مؤلفاته وهو الواقع الذي كانت تعيشه الدولة الجزائرية آنذاك تحت سلطة الاستعمار الفرنسي بل إنه كتب بعض مؤلفاته بالسجن فربما كان ذلك هو السبب الذي جعل المدني يوجه كل كتاباته ويفصل في التاريخ الحديث للدولة الجزائرية والذي أعطاه الجانب الأكبر من التأليف والتفصيل في وقائعه لو قارناه بالعصور الأخرى القديمة أو الوسيطة فلربما الوطنية والحالة التي كانت فيها البلاد في تلك الفترة هي ما أثرت على كتابات المؤلف والملاحظ عند تصفح مؤلفاته أن هناك اختلاف كبير في غزارة المادة التاريخية، فبالنسبة إلى تاريخ الجزائر في العصر الوسيط كانت كل المجالات التي كتب فيها المدني باختصار جدا، بل أن هناك دولا لم يذكرها في مؤلفاته كدولة المرابطين مثلا والمقترح هنا لو فصل المدني مؤلفاته وجعل لكل عصر مؤلفا خاص به لكانت كتاباته

[1] عبد القادر خليفي ، احمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسة والثقافية بتونس والجزائر (1899-1938) ، ص 101 .

أفضل لكن تبقى الفترة التي كتب فيها المؤلف استثناء له ، لكي يفصل في عصر ما على حساب عصر آخر للدولة الجزائرية ، كذلك لو رجعنا لكتاب حياة كفاح نجد أن المؤلف ذكر أنه. تلقى أمر بالكتابة والتأليف من طرف جبهة التحرير الوطني لكي يكون كنوع من الدعايات الإعلامية للثورة التحريرية ، وهذا ما يدل على أن الشيخ أحمد توفيق المدني كان من الشخصيات التي أعطت دافعا للمدرسة التاريخية الجزائرية خاصة والمغاربية عامة فأحمد توفيق المدني بذلك حرر مؤلفات جد قيمة شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي وأثبت من خلال هذه الكتابات أن الجزائر جزء مغاربي وإفريقي وعربي وإسلامي.

المطلب الثـالث : آراء المعاصرين حول ما كتبه أحمد توفيق المدني

- **آراء المادحين لأعمال أحمد توفيق المدني :**

لقد تركت مؤلفات أحمد توفيق المدني أثر كبير على معاصريه، وهذا راجع الى تحليه بالشجاعة الأدبية والعلمية و بتزويد الأمة الجزائرية بكتب لها وزنها العلمي والتاريخي ففي ظل الظروف الاستعمارية نجد أن صفحات " توفيق المدني" كان لها الصدى في الداخل والخارج، فذكر في كتابة: كتاب الجزائر أنه يحتفظ ب 533 رساله أغلبها من البلاد الجزائرية وهي تقريظ للكتاب، ومن خلال تصفح الكتب المختلفة وجدنا تقاريظ عديده، فقال شارل روبير أجرون : << منذ سنة 1931م تأسست جمعيه العلماء الإصلاحية التي كان من بينها "مبارك الميلي وتوفيق المدني" ، وهما أول من ألف في التاريخ الوطني الجزائري بالعربية فكتاب التاريخ الذي ألفه المدني 1931 م كان يحمل فوق غلافه شعار جمعية العلماء المسلمين : الإسلام ديننا و الجزائر وطننا و العربية لغتنا....>>[1].

حيث قدم الشيخ عبد الرحمن الجيلالي شهادة ودونها –رحمه الله– والتي أبرز فيها مجهود ما قدمه الأستاذ توفيق المدني لتاريخ المغرب العربي عموما وتاريخ الجزائر خصوصا فيقول:

[1] مسيوم بلقاسم ، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الإستعمارية(مخطوطه)1830-1962 دراسة تحليلة ، ص 184

" لولا المدني ما عرفها قراء العربية من أنباء هذا الشعب تاريخهم القديم ولا عرفوا وضعية بلادهم جغرافيا ولا سياسيا ولا طبيعيا ولا عرفوا تاريخ بلادهم الزكية في قديم الزمان فبفضل المدني عرفه طلاب المدارس العربية وغيرهم كل ذلك فكان له في هذا المضمار –رحمه الله– القيم السابقة والميزة الظاهرة ،هذه المؤلفات" أتيح لي أن أطالع جلها واستفيد منها ما شاء الله ويمكنني القول أنما ميز الكتابات التاريخية لأحمد توفيق المدني إلى جانب ريادتها أنها كتبت بأسلوب الجذاب الأنيق الفخم الذي تغلب على روح الخطابة[1].

ويعد "كتاب الجزائر" من أهم ما قدمه وذلك لما له أهمية في دراسة الحياة العامة للجزائر لأن المؤلف "عرض فيه لأول مرة تاريخ الجزائر وواقعها على حسب وجهة النظر الجزائرية الإسلامية العربية، وشرح حال الشعب في مختلف مناحي الحياة.[2]

وذكر أحد المؤرخين أن "كتاب الجزائر" موسوعي قدم تاريخا وطنيا وعرفه بالموسوعة الوطنية الجزائرية، ويعتبر هذا الكتاب فريد من نوعه خلال فترة الدراسة ،فلم يسبق أحد المدني إلى هذا الموضوع ، فأغلب من سبقه كانت قصارى جهدهم لمعالجة الموضوعات التاريخية المجردة عن العناصر الأخرى التي تتصل بجغرافية والثقافة والحياة الاجتماعية بوجه عام ، فتوفيق المدني مزج بين التاريخ والوطنية والحضارة و الإدارة ، مما كان له علاقة بحياة الشعب الجزائري وأن كتاب الجزائر من حيث الأفكار التي تطرق لها تلخص فكره المدني عن الإصلاح ، ورأيه في المجتمع واستيعابه لواقع ومتطلبات عصره ، وعن هذا الكتاب قال مولود قاسم نايت بلقاسم " لو لم يكن الأستاذ أحمد توفيق المدني إلا هذا الكتاب لكان يكفيه"[3]، أما "توفيق المدني" فقد وصف كتابه في قوله :<<هذا كتاب الجزائر (...) وأنه لصورة حقيقية لقطر الجزائر السعيد لم نرسمها بريشة مصور يعتمد التحسين أو التشويه إنما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي >>. وعلى هذا الكلام يقول المؤلف <<أن الهدف من وضعه "لكتاب الجزائر" هو كشف الزيف الاستعماري حول تاريخ

[1] مجلة التاريخ، الجزائر ، العدد 18، 1985، ص 26.
[2] ميسوم بلقاسم ، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الإستعمارية(مخطوطه)1830-1962 دراسة تحليلة، ص 192.
[3] نفسه ، ص193.

الجزائر>>، ويضيف لاحقا <<إنكم ترون كما رأيت أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء>>، ولهذا <<جمعت لكم بين دفتين ما يجب على كل جزائري المسلم أن يعرفه على بلاده >>، ولهذا السبب فإن مؤلف الكتاب لم يقتصر على التاريخ فقط بل حاول جمع كل ما يتعلق بالجزائر ماضيا وحاضرا ، فقال الدكتور "أبو القاسم سعد الله" حسب تعبيره أن كتاب الجزائر جاء على شكل "كتاب جيب تاريخ الجزائر"، كما أراد مؤلفه حسب ما يبدو استكمال، مالم يورده "مبارك الميلي" في كتابه الموسوم بـ "تاريخ الجزائر القديم والحديث"، ولذلك أولى "توفيق المدني" اهتماما كبيرا بتاريخ التواجد الفرنسي ومختلف ردود الفعل الجزائرية تجاهه.

ويضيف قائلا: وقد قرأت كتابه عدة مرات فرأيت أنه ربط بين الحاضر والماضي الغامض ، رغم ما تميز به الكتاب من اختصار وهفوات ، إلا أن ما وظفه دل على حسن في الاختيار خصوصا في الكشف ولأول مرة عن الأحداث الهامة ، وإذا كان المدني قد تنازل في البداية التاريخ المغاربي القديم ، فإنه بعد ذلك أضافه إلى تصنيف مجال التأليف وقصره عن الجزائر فقط ، خاصة بعد الاحتفالات المئوية ، وهو ما تناوله في " كتاب الجزائر"[1]، كما نشير إلى كتاب "جغرافية القطر الجزائري ":الذي لقى تنويها وتقريظا من لدن العديد من الدارسين، من ذلك ما كتبه المؤرخ عبد الرحمن الجيلالي: <<حاز به فضل السبق، فيه دراسة مفصلة لفرع آخر من فروع العلم والمعرفة وهو فرع حساس ،يتصل بأعماق مشاعر سكان المغرب بصفه عامه ، وسكان المغرب الأوسط منهم بالخصوص(...) فلقد أفاد به النشئ الجزائري بالمدرسة العربية وحتى خارج المدرسة العربية (...)فلولا "المدني"، ما عرف قراء العربية من أبناء هذا الشعب ، وضعية بلادهم جغرافيا ولا سياسيا، ولا طبيعيا ولا اقتصاديا>>، وتقديرا لهذا الإنجاز الذي وصف بأنه قطع من الرياض نظم الشاعر" أحمد سحنون" أبياتا بعنوان "توفيق أعطيت توفيقا" نشرت بالبصائر، فبعد صدور كتاب "المسلمون في جزيرة صقلية" كتبت في جريدة "البصائر"،<< كتاب جلا فيه مؤلفه

[1] رابح لونسي ، تيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1964)، ط1 ، كوكب العلوم ، الجزائر ، 2009 ،ص 368.

صحيفة من صحائف الفتح الإسلامي، وسد به نقصا طالما شعر به الباحثون في تاريخ الإسلام، كلما أنتهى بهم البحث إلى تلك الحقبة من الزمن في تلك القطعة من الأرض ، فأعوزتهم الوثائق والمستندات وعسى أن يكون كتاب الأستاذ المدني حافزا للباحثين حتى يصلوا لما انقطع من هذه المباحث>> وقد وصفه "محمد قناش" قائلا:<< أن هذا الكتاب تحفة نادرة، ودرة نفيسة على جبين التاريخ الإسلامي، فهو معلمة تاريخية وأدبية عن جزيرة صقلية>>، وقد أثرت بعض الشخصيات البارزة وأعطت رأيها في ما ألفه المدني بداية مع قول الأمير شكيب ارسلان : حيث كتب تقريظا مستفيضا لكتاب الجزائر على صفحات صفيحة الفتح، بتاريخ 1350/11/3 مما جاء فيه <<من أحسن ما أخرج في هذا العصر (كتاب الجزائر) بحق الأستاذ السيد احمد توفيق المدني ، أكثر الله في الإسلام من أمثاله أحصى المؤلف في هذا الكتاب الثمين كل ما يلتزم معرفته من أمور المغرب الأوسط من تاريخ وجغرافية وإدارة واجتماع واقتصاد، وغير ذلك بعبارة سهلة بليغة سائغة ، بليغة لا تمل بأطناب، ولا تخل بإيجاز، ولا اقتضاب>> ،ونجد كذلك قول "محمد الصادق عيسات":<< سيدي أن ما كنت أحس به في جنابكم المحترم من القدسية الإسلامية والنخوة العربية والمعارف الواسعة، والإحسان الجم وان الذكريات التي تهز منا الوجدان ،وتحرك منا الشعور، بذكر أيام الجهاد المتواصل تحت راية العروبة والإسلام والوطنية الحقة مع أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من أساتذتنا ورفقائنا من الذين سبقونا إلى رحمة الله من الأستاذ باعث النهضة عبد الحميد بن باديس ،وإلى خليفته الأستاذ الإبراهيمي ومن بينهما>>، دون أن ننسى قول المفكر "مولود قاسم نايت بلقاسم " قال:<< هو أب روحي الأجيال بفضل ما قدمه من أثار لشباب هذه البلاد بصفة خاصة، وخدمة للأمة الإسلامية الكبرى بصفه عامه ففي العشرينيات كتب كتابا كانت نبراسا لشباب هذه الأمه الصغيرة في أنظار الأمة الكبيرة ، في وقت كانت ركزت فيه وسائل المسخ والإذابة وكل وسائل الإدماج والسلخ على هذا الشعب وبالضبط سنه 1925م ،إذا ما كانت ذاكرتي صحيحة، نشر الأخ الجليل" كتاب الجزائر" الذي ذكر فيه مراحل تطور هذه الأمة الصغيرة ، كما قلت في إطار الأمة الكبيرة

وجهادها ومساهمتها في إطار الحضارة الإسلامية وفيه كذلك ذكر وتفاصيل حقا للاستعمار الفرنسي في مراحله العديدة ، وأمد الله لنا للأمة الإسلامية في عمر الأخ الذي يفيض شبابنا كما رأيتم روحا وجسما..... الخ>>.

كذلك عبد القادر خليفي الذي يشير إلى أن أحمد توفيق المدني استند من استقاء الحقائق من خلال توظيفه للوثائق التي تعد العمود الفقري للكتابة التاريخية وهذا ما أجمع الأكاديميون والباحثون عليه في استحالة قراءة التاريخ بطريقة موضعية دون الاعتماد والرجوع إلى الوثائق إذ لا تاريخ دون وثائق وهو ما جاء في قول مترجمنا يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من بين النصوص ثم ينظر الملابسات ويدرس المحيط[1]، ويضيف أبو القاسم سعد الله أنه اعتمد أيضا على نصوص فرنسيه ككتاب "موريس فيوليت" هل ستعيش الجزائر[2] ، بينما يرمي الأستاذ مولود عويمر بأن القناعة عند توفيق المدني في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني بطريقة علمية دقيقة وشاملة مرهونة بأرشيف تركيا وذلك في قوله – المدني – لا يمكن لباحث يتوخى صدق ويبحث عن الحقيقة في مصادرها إن ما لم يطلع على الوثائق الثرية التي حوتها مختلف ديار المحفوظات بإسطنبول[3]، فحصول مترجمنا على الوثائق العثمانية وغيرها كانت بمثابة انطلاقة له وعليه استند في التحليل والتعليل للظروف المحيطة والملابسات وتلك هي حقيقه المؤرخ الأحق وما يثبت ذلك هو ما جاء في قول الدكتور فيصل عبد الله الكندري : أنه لابد لدراسة الوثائق إن يلم بالظروف والوثائق التاريخية ، كل هذه الملاحظات والأثار التي تركها أحمد توفيق المدني عند المعاصرين أكدت براعته في تدوين الأحداث وذكائه الوقاد في التعامل معها وتتبعها من أصولها الأولى إلى نشاطه وحماسه وحيويته كما أن ذلك يبقى سواء تصوره الخاص الذي انطلق من ثقافته و ميولاته التي تعبر عن مواقفه المختلفة إلى جانب كل ظاهرة أو حادثة تاريخية وهو ما يثبته قول الدكتور ناصر الدين سعيدوني بأن التاريخ يبقى سوى تصور

[1] عبد القادر خليفي ، احمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسة والثقافية بتونس والجزائر (1899-1938) ، ص 7 .
[2] أبو القاسم سعد الله ، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ص 422.
[3] مولود عويمر ، مسألة التاريخ عند الاستاذ احمد توفيق ، ص 8

شخصي للأحداث لأن الحادث مهما خضع لمواصفات المنهجية والتقييد بطريقها لا يمكن اعادته كما وقع وإنما نعيد تصوره من خلال فهمنا للماضي انطلاقا من ثقافتنا وميولنا وموقفنا من الأحداث[1].

- أراء المنتقدين لأعمال أحمد توفيق المدني

وكأي عمل تاريخي لم تخل مؤلفات أحمد توفيق المدني من الانتقاد حيث نجد أنه رغم أنه استطاع أن يزيل الإبهام على تاريخ الجزائر خاصة في الفترة الوسيطة وأكسبه حلة جديدة لدراسة هذه الفترة التي كانت دراستها يؤخذ عنها إلا من طرف المصادر التي تتناول تاريخ المغرب الإسلامي إلا إنه اكتفى بمصدرين فقط عربيين يتعلق الأمر بابن خلدون ورحلت التيجاني[2]، كذلك أنه وعلى الرغم من وضع أحمد توفيق المدني قائمة التي أعتمد عليها من المصادر والمراجع إلا أن أغلبها كانت بدون الإشارة إلى مصدر الروايات التي أعتمد عليها لذلك يصعب التحقيق مما جاء به ومقارنته بالميلي نجد أن هذا الأخير قد أحسن استغلال ذلك واستخدم بعض الاحالات بينما المدني كان يكتفي بالإحالة أحيانا في المتن بذكر قال: فلان ويبدو أن هدفه كان ايراد المعلومات لا أكثر، أيضا غلب عليه الطابع الأدبي والقصصي في سرد معلوماته [3]،أما في كتاب الجزائر نجد أنه لم يخل من الأخطاء التاريخية وقد أطلق تسمية الدولة على بعض الحكومات الإسلامية كدولة بني حماد بمسيلة، كذلك أطلق تسمية الإدارة على البعض الآخر كالإدارة الأغلبية والفاطمية وهذا تنقيص واستصغار لهما ، خاصة هذه الأخيرة التي ملكت الشام ومصر، في حين اهتم المدني في الصفحة 23 بأحداث 140هـ / 737 هـ من ظهور أبي قرة الصفري بتلمسان واجتماع البربر حوله منفصلين عن المذهب المالكي معتنقين المذهب الاباضي إلا أن المذهب المالكي لم يكن آن ذاك في المغرب العربي ككل إنما كان في عهده حكم إدريس الأول الذي قام على ما كان بالمغرب من مختلف العقائد والأديان مقتصر على مذهب مالك وذلك بإدخال موطأ مالك

[1] نصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1988،ص26.

[2] رابح لونيسي، تيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1964)، ص ص 366 / 367 .

[3] ميسوم بلقاسم ،الكتابات التاريخية الجزائرية حلال الفترة الاستعمارية ،(مخطوطة) 1830-1962، ص 196.

للمغرب وهو أبو الحسن علي بن زياد وأخذ عنه الإمام سحنون ، كذلك قال أن دولة بني الأغلب بربرية ولكنها لم تكن تمت للبربرية بصلة فرجالها عرب وصبغتها كانت عربية ، كذلك أهمل المؤلف أحمد توفيق المدني تعيين التاريخ الهجري من المسيحي وذلك ما سبب اضطراب للقارئ فلا يعرف أيهما يؤخذ ، فعلى سبيل المثال نجد في قوله في تاريخ بلده القرارة صفحة 211 ، أنها تأسست في أوساط القرن الحادي عشر بدون ذكره للهجري أو للميلادي كما أنه جعل عمر الدولة الرستمية 132 سنة والمعتمد من المصادر التي عاصرت تلك الدولة أنها لم تتجاوز 130 سنة ثم أن عزى بتأسيس البليدة لسيدي أحمد الكبير بإعانة مهاجري الأندلس في سنة 1553م، بينما نراه يؤرخ وفاه الرحل في 1550م من الصفحة نفسها أيضا في الصفحة 288 لقد ذكر تأسيس مدينه وهران 902 هـ /1496م والمعروف انها تأسست على يد محمد بن عبدون ومحمد بن أبي عوادة وجماعة من الأندلسيين سنة 290 هـ/902 مـ [1].

كما نجد توفيق المدني في كتابه "جغرافية القطر الجزائري" قال «أن سكان الجزائري ينقسمون إلى ثلاثة أقسام في حين أكتفى بذكر قسمين ويتضح هذا من خلال قوله" وينقسم سكان الجزائر إلى ثلاثة أقسام أولهما مسلمون وثانيهم الأوربيون»[2]

ويمكن القول من خلال ما تطرقنا إليه مما نعرفه عن الفترة التي كتب فيها توفيق المدني "قرطاجنة في أربعة عصور" فإن الالتزام باستخدام مصادر ومراجع معينه وحسن الاستفادة منها أو الإشارة إليها في الهامش ، يرجع إلى أن الكتابات التاريخية في هذه الفترة لم تكن قد عرفت التطور الذي عرفته لاحقا من الناحية المنهجية وبالتالي فان أي كاتب كتب في فترة نفسها ومهما كانت محاولاته في الالتزام بمنهجية معينة فإن ذلك يرجع لعدم وجود منهجية معينة يلتزم بها اما "مذكرات احمد توفيق المدني " فقد ظهرت ضدها اصوات تؤيد وتكذب بعضها مما أورده ، معللة بأنها غير شخصية ، وتتناول الرجال والقضايا الوطنية ،

[1] ميسوم بلقاسم ،الكتابات التاريخية الجزائرية حلال الفترة الاستعمارية ،(مخطوطة) 1830-1962، ص 193.
[2] أحمد توفيق المدني ، جغرافية القطر الجزائري ،ص 71.

فهي ترفع صاحبها وتتباهى به ، وتضع الآخرين وتستهين بهم، فقالوا بأن :<< أستاذنا بلغ من الكبر عتيا ، وما كتبه أعتمد فيه على الذاكرة التي تخون صاحبها ، فتميز بالعظمة والتعالي والمبالغة والتهويل >>،وقد أورد في مذكراته بأنه هو الداعي إلى تأسيس جمعيه العلماء المسلمين ، والساعي إلى تنفيذها ، وهو من اقترح الاشتراك الطرفين فيها ، كما أنه هو من استدعى علماء كا "أبن باديس" و"الابراهيمي" ، وهو من رشح ابن باديس لرئاستها ، وهو من وضع قانونها الأساسي وفي هذه القضية بالذات لقي معارضة وتكذيبا لأقواله ممن عاش الحركة الإصلاحية ، وقد جمع الردود في الكتاب بوثائق ومما وصفت به مذكراته أنها تحمل الإثم ،العدوان ، التعالي[1] .

وفي الأقوال كذلك قدم الأستاذ "علي المغربي" الذي نقل عنه محمد الطاهر فضلاء في قوله:<< أخونا الأستاذ توفيق المدني نعرف مكانته في الصحافة والكتابة ، وفي الحركات كلها قرأت الكتاب ولا حظت بعض الملاحظات، فالأستاذ استشهد بأية قرآنيه في الأول [2]: كررت له قوله تبارك وتعالى:" فكشفت عنك غشاءك فبصرك اليوم حديد" والآية القرآنية تقول : ﴿كَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[3] ، وفي (الصفحة 75) آية ثانية "فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين" والآية القرآنية ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]

كذلك نجد الاستاذ رابح تركي يقول في التعريف تحت صورته "حياة كفاح" وهي حقا حياة كفاح وتعتبر سجلا تاريخيا في أسلوب ادبي شيق سيرحب به كل من يعتني بتاريخ المغرب العربي المعاصر وكل من يحب الآدب الرفيع مسجلا تاريخه[5] ففي صفحه 11 يقول : (وكأن عبد الحميد بن باديس من ذلك الرعيل الاول الذي بعث به عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي لهذا المغرب العربي)[6] ، نحن في هذه الكتابات العلمية والتاريخية لابد أن

---

[1] محمد الطاهر فضلاء ، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح ، ط1، البعثة الجزائرية 1982 ، ج 1 ، ص 155.
[2] ميسوم بلقاسم ، الكتابات التاريخية الجزائرية حلال الفترة الاستعمارية ،(مخطوطة) 1830-1962 ، ص 204.
[3] سورة ق ، الآية : 22 .
[4] سورة الحجر ، الآية : 94 .
[5] عبد الرحمان حماد الكتبي ، مرجعيات حمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، (د ط) ،2016 ، ج1 ، ص 409.
[6] أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح ، ج 2 ، ص 26 .

نذكر المراجع في أخر الكتاب او نشير إلى أسماء هؤلاء في نفس الصفحة 1 الاشخاص كما نعرج كذلك في قول عبد الرحمان الكتبي نقلا عن محمد الصالح رمضان وقد قال:<< الأستاذ توفيق في ذلك العرض، من جملة ما قال عن كتابه أنه ليس مجرد تسجيل مذكرات شخصية عاشها وعاينها بل يشمل تاريخ الحركات الوطنية وتسجيل الحقائق التاريخية منها ، ويعتبر نفسه المسجل الامين لها ويذهب إلى أنه مثل ابن خلدون ونابليون وغيرهما من العظماء الذين قدموا مذكرات هامه عن حقائق التاريخ الذي عاشوه ،ويؤكد أن كتاب المذكرات يجب أن يكون نزيها إلى أبعد حد لان الامانة التاريخية مقدسه ويقول: أن هذا ما حاول أن يقوم به في كتابة مذكراته>> ، لان من يقرا مذكراته العامة أو الخاصة بحياته في الجزائر منذ سنه 1925م إلى غايه 1955 م يخرج بهذه الصورة القاتمة والمشوهة وهي أن الجزائر كانت لخلوا من كل حركه حيه لا تشعر بشيء من معاني العروبة والاسلام فيصف شعبها باليأس والقنوط وعدم الثقة في النفس والاستسلام لعدوه حتى نفخ فيها من هو روحه فكانت وطنا قويا، وكان شعبا قويا عبقريا وانتشر فيها العلم والمعرفة ودبت فيها الحياه. ويقول: واصبحت أفكر في تكوين حركه سياسيه تدعو وتكون عمودا فقريا لمن يأتي بعدها كما قال في مقدمه كتاب عن جهاده لا أعتقد أن رجلا حقق في الحياتين العامة والخاصة ما حققه أبوكم هذا بجهاد مظن وعمل متواصل وتضحيات جمة وفكره نيره صحيحه».[2]

[1] عبد الرحمان حامدو الكتبي ، مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، د ط ، ج1 ، 2016 ، ص 91 .
[2] محمد الطاهر فضلاء ، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح ، ص 316

الفصل الثاني: اسهامات أحمد توفيق المدني في كتابة تاريخ الجزائر في العصر الوسيط

المبحث الأول: الفتح الإسلامي للجزائر و الكيانات السياسية التي عرفتها خلال العصر الوسيط

المبحث الثاني: الاسهامات الحضارية للجزائر في العصر الوسيط من خلال أحمد توفيق المدني

المبحث الأول: أحمد توفيق المدني مؤرخا للتاريخ الاجتماعي للجزائر

سنتطرق في هذا الفصل إلى الكيانات السياسية التي عرفتها الجزائر في العصر الوسيط من خلال ما خلفه الأستاذ أحمد توفيق المدني من كتابات ، مرورا بالإسهامات الحضارية للجزائر في العصر الوسيط ثم سنتطرق في هذا الفصل إلى شذرات من التاريخ الاجتماعي للجزائر عند أحمد توفيق المدني .

نبدأ المبحث الأول بالكيانات السياسية التي شهدتها الجزائر(المغرب الأوسط) خلال العصر الوسيط بناء على تسلسلها الزمني والتي قامت بعد الفتح الاسلامي لبلاد المغرب وبعد نهاية الدولة الأموية وعصر الولاة التي كانت بلاد المغرب الأوسط (الجزائر)وكل بلاد المغرب تحت سلطتها إلى أن انتهت بالسقوط سنه 132 هـ لتحل محلها الدولة العباسية والتي شهدت نشأة الدول المستقلة في كل اقطار العالم الاسلامي آنذاك ومنها بلاد المغرب التي عرفت ظهور عدة كيانات سياسية تعاقبت على حكم القبائل البربرية والعربية المتواجدة في بلاد المغرب الأوسط واحدة بعد الأخرى وقد نجد في بعض الأزمنة تواجد أكثر من دولة في حدود والمجال الجغرافي للمغرب الأوسط (الجزائر).

المبحث الأول : الفتح الإسلامي للجزائر والكيانات السياسية التي عرفتها خلال العصر الوسيط

المطلب الأول : الفتح الإسلامي للجزائر من منظور أحمد توفيق المدني

لقد جاء المسلمون إلى هذه البلاد يريدون اخراجها من الظلمات إلى النور وقد كان فيها البربر لا يزالون رغم قدم العهد مصطبغين بالصبغة التي اكتسبوها من مجاورتهم للكنعانيين ابناء عم العرب[1] وبعد التصادم الذي وجد العرب انفسهم فيه مع البربر يقنعونهم بان هناك نوع جديد من الفتح الروحي ويحملون بين أيديهم دستورا محكم لا يخرجون في احكامه عنه وهو كتاب الله[2] ولقد بدا العرب الإنقاذ من الشرق بواسطة الدين المحمدي ومجاهديه الميامين ، لقول أحمد توفيق المدني « وكانت الدنيا تنتظر نورا جديد فجاءها النور من مكة أم القرى» حيث كان المغرب ينتظر نظاما عادلا قوامه العدل والحرية والمساواة هذا النظام الذي جاء به العرب يضمن لهم السعادة في الدنيا والنعيم في الاخرة ، لقول الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3] وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "الناس سواسيه" وما قيل في الحرية التي جاء بها هذا الدين : "متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" ولهذا اعتبرت سنه 667 م سنة انقاذ لبلاد المغرب العربي حولت فيه مجرى تاريخه وإلى الأبد وألقت به في اتجاه جديد وهو اتجاه الحضارة الاسلامية .

[1] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 76.
[2] أحم توفيق المدني ، هذه الجزائر ، ص.
[3] سورة الحجرات ، الآية 13.

فجاء عبد الله بن سعد وعبد الله بن الزبير حارب الروم وانتصر ثم جاء عقبه بن نافع لتوطيد اركان الفتح واصطدم بالقومية الوطنية الامازيغية التي لم تكن تريد الخضوع لاحد فوقعت المعارك الطويلة نجد من بينها المعركة التي بقيت خالده في ذاكرة التاريخ وهي "معركه الكاهنة" التي كانت الغلبة في البداية لها هذه الاخيرة التي كان معقلها "جبال الاوراس" فعملت كل ما بجهدها للقضاء على العرب المسلمين واعتمدت على عده سياسات من بينها سياسه "الارض المحترقة" حيث قامت بإحراق القرى والمدن والمزارع والغابات كي لا يبقى للعربي مطمعا في هذه البلاد لكن الفاتحون استطاعوا القضاء عليها بمجيئ حسان بن النعمان مرة ثانية لبلاد المغرب الأوسط وبرهن للأمازيغ أن القادمين الاحرار الذين اتخذوا شعارهم من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] وانهم جاؤوا يريدون تحرير الارض لا يريدون استعمارها وهكذا اطمئن لهم الأمازيغ وساندهم وآزروهم ودخلوا في دين الله أفواجا[2] .

لكن وضمن هذا الكلام الذي ذكره مؤلفنا عن المغرب وعمليه الفتح التي مرت به كذلك حسب طبيعة كتاباته وأسلوبه المختصر في تدوين المعلومة ، لو عدنا الى المصادر نجد ابن خلدون فصل في القبائل البربرية التي عرفتها منطقه المغرب الاوسط وقال عنها أنها كانت في ابهة والاستعداد والنظام وكانت كقوة سياسيه ولا سيما قبيله "اوربة " البرنسية التي كانت كثر عددا واشد باسا وقوه وهي من ولد "ورب "بن برنس تشكلت من بطون عديدة وكان أميرهم عند الفتح "كسيله بن ملزم الأوربي" في تلمسان مما جعل أهل المغرب الأوسط يسترجعون كيانهم السياسي على شكل إمارات ، كذلك نجد منطقة الأوراس التي تخضع إلى قبيلة "جراوة البتريه" والقبائل المتحالفة معها بالمغرب الأوسط تحت زعامة الأوراسية المعروفة بالكاهنة ولقد ذكر المالك اسمها وهي" داهية بنت ماتيا بنتغان " ملكة

[1] سورة النحل، الآية 90.
[2] أحمد توفيق المدني ، هذه الجزائر ، المصدر السابق ، ص ص 54 -55 .

جبل الأوراس فقد كان جميع من هم بإفريقية منها خائفون وجميع البربر لها مطيعين حسب ما جاء في التعبير المالكي[1] ، نجد ايضا من فصل في هذه الواقعة الدكتور عبد العزيز فيلالي في المواجهات التي كانت بين البربري والعرب حيث قال ان الفاتحون المسلمون وجدوا منطقه المغرب عامه والمغرب الاوسط على وجه الخصوص من اصعب الجهات قتالا لشده المقاومة البسالة التي يتميز بها اهلها وهذا ما اكتسبوه من مقاومات التي عرفوها من قبل ضد الاحتلالات الغازية كالفينيقيين والرومان و الوندال والبيزنطيين الذين عانوا منهم الامرين وذاقوا الظلم والهوان في مدة طويله تزيد عن 1500سنة فلم تسكن مقاومات هذه القبائل ولم تتوقف ثوراتهم خلال هذه الفترة الطويلة حتى أصبحوا اهل المغرب الاوسط اهل حرب ونجدة وقوة ولا يرضون بالحكم الاجنبي ولا يرضخون إلى الإستعمار[2].

ولعل الأمر المهم الذي لم يفصل فيه المؤلف هو كيف اندمج أهل المغرب الأوسط مع المسلمين وكيف تقبلوا دينهم ولغتهم في فتره زمنيه قدرت بسبعين سنه بينما رفضوا ديانة وحضارة ولغة الاقوام السابقة للفتح الاسلامي والتي قامت في ربوعها اكثر من 1500 سنه بحيث لم تستطع هذه الأقوام أن تجعلهم فينقيين أو رومان أو وندال أو بيزنطيين ولم يتحقق الانصهار والاندماج فيهم بل ظل أهل المغرب الأوسط يحافظون على هويتهم ولغتهم وثقافتهم ورغم أنهم تصدوا للعرب في أول الأمر بكل قوة وعنف وتسببوا في هزيمتهم مرتين على أرض الجزائر (المغرب الأوسط) دون غيرها إذا كانت الهزيمة الأولى على يد كسيلة في معركه تهودا بسيدي عقبه حاليا (64هـ – 633م) [3] ، وكانت الهزيمة الثانية للجيش الاسلامي في المغرب الأوسط أيضا على يد زعيمة الأوراس الكاهنة أميرة قبيلة جراوة في

[1] المالكي ، رياض النفوس ، ص 32.
[2] عبد العزيز فلالي ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، د ط ، عين مليلة الجزائر ، ص15.
[3] المالكي ، رياض النفوس ، ج 1 ، ص5.

وادي مسكيانة بالشرق الجزائري حاليا 47هـ – 693 م ، لانهم كانوا يظنون بان المسلمين لا يختلفون عن اجناس اخرى السابقة لهم التي جاءت لاستغلالهم[1] ، لكنهم عرفوا الأهداف النبيلة للفتح والفاتحين واطلعوا على تعليم الدين الاسلامي والمبادئ السمحة وما جاء به من إخاء وانسانية ومساواة بين الناس وتحسسوا رغبه المسلمين في مساعدتهم لا رغبتهم في الاستعمار والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم وطردهم من ديارهم ولأن المسلمين لا يميزون بين كبيرهم وصغيرهم إلا بالتقوى والعمل الصالح وأن الانتقال من طبقة اجتماعية إلى أخرى من السهولة بمكان عند المسلمين وهي أمور لم يتعودوا عليها عند الرومان والولدان والبيزنطيين وقد اتضحت هذه السياسة في عهد كل من أبي مهاجر دينار (55–62 هـ /674 – 681 م) الذي استطاع أن يكسب إسلام قبيلة كتامة البرنسية وكبار القوم فيها عندما جعل من مدينة ميلة عاصمة له لمدة سنتين كاملتين وتمكن من مد الرقعة الاسلامية إلى المغرب الأوسط وإلى الحدود الغربية في اقليم تلمسان[2] وهو الذي استمال الزعيم الأوربي "كسيله" وقبيلته إلى الاسلام واكتساب صفه إلى المسلمين وهكذا قد أحل حسان بن النعمان (74–86 هـ / 693–705 م) ابني كاهنة "يفرن" و"بزيان" قيادة نحو 12,000 مقاتل من أبناء المنطقة فكل منها قاد 6000 جنديا كما أعطوا القيادة لهلال بن ثوران اللواتي وطريف بن مالك وطارق بن زياد الذي كان يفضل الإقامة بمدينة تلمسان فهذه العوامل جميعا ساعدت على نجاح المسلمين في ادماج أهل المغرب الأوسط واستقطابهم

[1] الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقيا والمغرب ، ص 18.
[2] ابن الحكم ، المصدر السابق ، ص 72.

للإسلام واستيعاب طبائعهم ونفسيتهم وهي الأسباب التي أخفقت فيها العناصر السابقة بتميزها واستغلالها واستغلال الأهالي فكانت هذه السلوكيات مشجعه ودافعة للاختلاط والاندماج في الحضارة العربية الاسلامية فضلا عن الإسلام دين الفطرة له من المقومات الذكية ما يقنع الناس على الدخول في رحابه[1] وهو الأمر الذي جعل بعض المؤرخين الفرنسيين يشتطون غضبا لذلك ويسالون عن سبب استجابة المغاربة للإسلام واللغة العربية في فتره تعد قصيرة[2] قد نقل المسلمون رايه الجهاد الى ايادي امينة من اهل المغرب الاوسط في جو من الاخوة الصادقة والتعاون المثالي فأوصلوه إلى أطراف المغرب الأقصى والأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط.

المطلب الثاني : الكيانات السياسية التي نشأت في الجزائر

1-الدولة الرستمية :

يقول الأستاذ أحمد توفيق المدني أن مما يسجله التاريخ للمغرب الأوسط(الجزائر) أنها كانت من أوائل الأمم التي حققت استقلالها عن مركز الخلافة الإسلامية في بغداد لكن ضمن دائرة الاسلام ،(وأول من استقل بالجزائر هي المملكة الإسلامية التي نشأت بمدينة تيهارت سنة 169 هـ أسسها القاضي عبد الرحمن بن رستم)[3]، فانضمت لها كل أرجاء بلاد المغرب الأوسط ، (ما عدا بعض جهات قليلة في الجنوب والشرق)[4] ، ولقد اختلف المؤرخون في نسب بني رستم فقد ذكر ابن خلدون انهم ينتمون إلى سلالة القائد الفارسي رستم الذي اشتهر في معركة القادسية وأما ياقوت الحموي فذكر أنه (من سلالة بهرام مولى

[1] صالح بن قربة ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، ص 29.
[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 3 ، ص 282.
[3] مدينة تيهرت : على مقربة من تيارت الحالية ، أنظر أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 65
[4] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ، ص 56

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وينحدر من يزدجر أبناء كسرى) ، كان نظام الدولة يعتمد المذهب الاباضي نظاما محكما مقاما على الشورى وانتخاب الإمام وله مجلس يدعى ((مجلس الشراة)) يمثل أصحاب الحل والعقد كما اتخذ الحاكم لقب الإمام وكان مصدرا لجميع السلطات الدينية والسياسية ، كما اتبعت شروط البيعة في المذهب الاباضي وحافظت سلالة عبد الرحمن بن رستم على الإمامة من خلال التعيين أو الوصية .

حدث في خلال سنة 140 هـ أن ظهر بتلمسان التي تسكنها قبيلة بني يفرن أحد رجال البربر يدعى أبو قرة معتنقا المذهب الصفري، فجمع حوله البربر وانتصب خليفة بكامل الغرب والوسط الجزائري[1] .

عندها نهض البربر نهضة رجل واحد ، واحتلوا القيروان ، وانفصلوا عن مذهب مالك ، واعتنقت الغالبية منهم المذهب الاباضي ، الذي نشره بينهم من قبل دعاة الإمام أبي الخطاب من طرابلس الغرب .

(كان قاضي القيروان ذلك الوقت عبد الرحمن بن رستم يقاتل بعض الثائرين في جهة الجنوب فرجع إلى القيروان فوجدها قد انتفضت عليه فخرج ابن رستم مع ما خف من متاعه صحبه ولده ومملوكه وحط الرحال وسط القبائل البربرية الإباضية فأكرمت مثواه وأحلته على الرحب والسعة وتتبعه أعداءه فلم يستطيعوا إليه سبيلا ، فانتقل صحبة أنصاره الى تيهارت)[2] (وأسست الدولة الرسمية الإباضية سنة 160 هـ)[3] ، وامتدت حدود الدولة الرسمية شمالا من تاول منداس الى قرب غليزان ويذهب جنوبا من هناك الى فرندا شرقي جبال عمورة ومن هناك الى وطن ميزاب الى تيسمسيلت و السيرسو ويذهب جنوبا شرقي الأغواط الى تقرت و وادي ريغ ونستطيع القول أن هذه الدولة قد شملت الجزائر الحالية ما عدا ناحية الزاب

[1] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 20

[2] المضنون أن مدينة تيهارت الحالية مقامة على أنقاض تيهارت العتيقة ، راجع: أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 20

[3] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 20

شرقا وتلمسان غربا ، كما كان المذهب العام هو المذهب الاباضي وقليل منهم كان معتنقا المذهب الصفري.

(تولى أمر حكم الدولة الرستمية ستة من الأئمة أولهم عبد الرحمن بن رستم وآخرهم اليقضان ، حيث بلغت في عهده وعهد أبوه أفلح الدولة أوج عزها ومنتهى سؤددها)[1].

ويعتبر (كتاب أخبار الائمة الرستميين من أهم الكتب التي تناولت الدولة الرستمية لابني الصغير الذي يطلق عليه مؤرخ الدولة الرستمية)[2]، وكان قد عاصر أواخر هذه الدولة قبل سقوطها ، ذكر فيه الائمة ومختلف الأحداث التي وقعت في عهد كل منهم ، وقد ذكر الأستاذ أحمد توفيق المدني في مستهل كتابته عن الدولة الرستمية ،(أن نشأتها كانت بتيهارت سنه 169 هـ)[3]، لكن المشهور عنها أنها تأسست سنه 160 هـ واستمرت الى سنة 296 هـ ، ولما اعترى دولة الرستميين ما يعتري الدول الهرمة في آخر أيامها من الفتن الداخلية والشقاق ، وضعف السلطة المركزية في تيهارت ، زد على ذلك تفاقم الخلافات المذهبية وأعظمها ظهور الدعوة الشيعية وطغيانها حتى قضت عليها وأسقطتها ، ودخلت البلاد في طاعة الفاطميين، بعد أن دامت هذه الدولة 136 عاما ،(ومن أغرب ما يذكر عن هذه الدولة في ذلك العصر وفرة تسامحها الديني مع اليهود من أبناء البلاد)[4]،
وكما يقول الأستاذ أحمد توفيق المدني أيضا عن الدولة الرستمية أنها كانت أول دولة اسلامية بربرية نشأت في هذه الديار يعني المغرب الأوسط(الجزائر) ازدهرت ونمت ونالت شهرة عالمية واسعة ، ويذكر المؤرخ الجزائري عبد الرحمن الجيلالي:(ولم تكن هناك دولة جزائرية كانت تداني حضارة هذه الدولة فيما بلغته من الرقي والازدهار المادي والأدبي ، فلقد

[1] نفسه ، ص 22

[2] انظر : ابن الصغير الرستمي ، أخبار الأئمة الرستميين ق3 هـ ، تحقيق، محمد ناصر ، إبراهيم بحاز

[3] توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 57

[4] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 365

بلغت تيهارت يومئذ شان عظيما من العمران ومن توفر أسباب الحضارة و الرفاهية حتى أنها كانت تشبه وتقارن بقرطبة وبغداد ودمشق وغيرها من العواصم اللامعة).

ويقول المؤرخ التونسي عثمان الكعاك:(إن الدولة الرستمية كانت قوية عزيزة ذات بأس وسلطان عاصرت بني الأغلب بأفريقيا. تونس . والأدارسة بالمغرب الأقصى وكانت الآمرة الناهية في بلاد المغرب الأوسط)[1].

1-دولة بني حماد

رأى خليفة الفاطميين المعز دين الله الانتقال إلى مصر بعدما اختطت له قائده المغربي جوهر الصقل مدينة القاهرة فعهد بأمر المغرب إلى قائد من أعظم قادته وهو(بلكين بن حماد الصنهاجي وقد كان هذا البطل مؤسس عدة مدن جزائرية مثل مدينة الجزائر بني مزغنة والمدية وغيرها ..)[2] ، لكن يبدو أن الاستاذ أحمد توفيق المدني لما تعرض لجزائر بني مزغنة ومكانتها عند الحماديين كان لا يقصد التأسيس بمعنى الإنشاء من العدم وإنما ربما قصد التجديد والتوسيع فعملية تجديد أو بناء المدينة التي نسبت إلى الأمير الصنهاجي الزيري بلكين كان هذا (اعتمادا بالأساس على النص المتأخر الضائع لابن حماد الصنهاجي المتوفي سنة (628 هـ/1230م) والموسوم ب(النبذة المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة بأفريقية وبجاية) فقد أشار عبد الله بن بلكين ت(483 هـ/1090م) آخر الملوك التلكاتيين بغرناطة إلى الجزائر في مذكراته الشخصية التي تحدث فيها كذلك عن مصير (بعض ملوك الطوائف خصوصا بني صمادح اللاجئين إلى هذه المدينة بعد نجاح المرابطين في فرض سيطرتهم على الأندلس الإسلامية)[3].

[1] عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تح ، أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2003 ، ص197

[2] توفيق المدني، هذه هي الجزائر ، ص58

[3] عبد الله بن بلكين ، التبيان ، تح، ليفي بروفنسال ، مكتبة المعارف ، ط 1995، القاهرة ، مصر، ص168

وتطرق صاحب كتاب مفاخر البربر الى بناء مدينة الجزائر بدون نسبتها إلى القبيلة من طرف ملوك صنهاجة ، (فمن مشاهير ملوك صنهاجة ابن مناد ملكه وبنوه 200 سنة متصلة وهم الذين بنوا بجاية والجزائر و مليانة والقلعة المنسوبة اليهم)[1]، بعده بقليل ذكر ابن الخطيب الغرناطي (ت 776 هـ/ 1375 م) مدينة الجزائري في معرض حديثه عن تاريخ المغرب والاندلس في الفترة الاسلامية وتطرق الى تشييد صنهاجة لعدد من مدن المغرب والاندلس وهو اي الامير زيري بن مناد ، الذي (بنى مدينه اشير واليه تنسب وبنى ابنه بلكين بأمره مليانة ومدينة الجزائر والمدية).

نفس الفكرة نجده عند عبد الرحمن بن خلدون توفي 808 هجري 1406 ميلادي عندما كتب يقول ثم اختطت ابنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينه الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر ومدينه مليانة بالعدوة الشرقية من الشلف ومدينه المدية وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من اعظم مدن المغرب الأوسط)[2] .

وعن تأسيس الدولة الحمادية فإن زعماء صنهاجة بقطر الجزائر اتفقوا مع الأمير حماد على تأسيس دولة مستقلة فاختط حماد مدينة القلعة وأنشأ ملكا عظيما شمل سائر جهات القطر الجزائري وذلك سنة 398 هـ (وقد كان حماد هذا قد خلع البيعة للفاطميين سنة 387 هـ واعلن سيادة بني العباس وانفصل عن دولة صنهاجة التي كان يتولاها يومئذ ابن اخيه باديس واسس دولة بني حماد الكبرى فجعل عاصمتها القلعة)[3].

وعندما كبرت مملكة بني حماد واتسعت واستقرت (فترك ملوك بني حماد القلعة واختطوا لأنفسهم عاصمة جديدة هي مدينة بجاية فاخذوا في تعميرها وبناء الاسوار والقصور والدواوين فيها والبساتين والمنتزهات ونقلوا اليها عاصمة ملكهم سنة 538 هـ ونقل اليها

[1] مجهول ، مفاخر البربر ، ص ص 190 . 191

[2] علاوة عمارة وزينب موساوي ، مدينة الجزائر في العصر الوسيط ، مقال ، في المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد مزدوج ، 45 و44 ، أفريل . سبتمبر ، 2009 ، ص 32

[3] نفسه ، ص 33

يحيى الحمادي كل ما كان بالقلعة من معدات البذخ والترف كما وسع الناصر بن علناس مؤسسه بجاية سلطانه فأصبح ملكه يمتد من حدود المغرب الأقصى إلى القيروان وصفاقس)[1]، ولقد كانت تمتد من الجنوب الى بني ورجلان (ورقلة) ويذكر المراكشي أنهم كانوا من قسنطينة الغرب الى موقع يعرف بسوسيرات بينه وبين بجاية قريب من تسع مراحل بينما يقول ابن خلدون: (أن حماد اقتطع ممالك الغرب لنفسه ما بين جبل اوراس الى تلمسان وملويه واختط القلعة بجبل كتامه و جبال المسيلة وغربها ويجاورها غربا دولة المرابطين موطن زناتة وشرقا مملكة بني زيري الصنهاجية)[2]، ويذكر الأستاذ أحمد توفيق المدني أن دولة بني حماد(دولة بربرية بحتة لغتها العربية ودينها الاسلام)[3]، وقد تولى أمر هذه الدولة 9 من الملوك نظموها فاحسنوا تنظيمها ورتبوا فيها المصالح الدولية اجمل ترتيب ، (وكانوا على الأغلب ملوكا مطلقين لا يعرفون الشورى وليس على وزرائهم وعمالهم إلا السمع والطاعة)[4]، (دامت دولة بني حماد قائمة على أرض الجزائر مدة 171 سنة)[5] وانتهى أمرها على يد عبد المؤمن بن علي الموحدي ، سنة 547 هـ .

2-الدولة الزيانية

قامت بتأسيس هذه الدولة قبيلة بني عبد الواد وقد كان الموحدون اقطعوا لهذه القبيلة البربرية العتيدة أرضا فسيحة فدانت لهم بالولاء ، إلى أن أخذ نفوذ بني عبد المؤمن يتضاءل فأسس جابر بن يوسف سنه 627 هـ دولة بني عبد الواد وأعلن استقلالها في تلمسان عن سلطة الموحدين سنة 633 هـ يغمراسن العظيم كان يغمراسن يقف موقفا خطيرا بين مزاحمين عظيمين في الشرق تزاحمه الدولة الحفصية التونسية وفي الغرب تزاحمه الدولة الموحدية المراكشية وفي نفس مملكته تزاحمه بعض القبائل المجاورة لكن يغمراسن استطاع

[1] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 25

[2] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ص58

[3] الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص 365

[4] احمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 25

[5] نفسه ، ص 27

الصمود بين كل هذه المتناقضات حوله وتمكن بسياسته من النمو بين تزاحم الحفصيين والموحدين ولقد حاربه أبو زكريا الحفصي وسير جنده على تلمسان لأن يغمراسن أظهر بعض الميل إلى الموحدين فتوسطت أم يغمراسن في الصلح و رجع أبو زكريا بجنده إلى تونس بعد أن استوثق من محالفة يغمراسن له ضد الموحدين ، عندها (خشي يغمراسن شر القبائل المحيطة بتلمسان فأتى بقبيلة بني عامر المخلصة وجعلها فاصلة بين تلمسان وبين قبيلة المعاقيل تقيه شرها وتدرئ خطرها ثم ارتبط مع الملك الحفصي بمصاهرة فزوج ولي عهده ، ابنه أبا سعيد عثمان من ابنة إبراهيم ابن أبي زكريا الحفصي ، مات يغمراسن سنة681 هـ وقد ترك دولة مؤسسة على دعائم ثابتة وأسس متينة)[1]، كانت الدولة بني مرين قد نشأت في المغرب الأقصى واتخذت من مدينة فاس عاصمة لها وأصبحت بعد حين خطرا يهدد دولة بني عبد الواد ،أما أبو سعيد ابن يغمراسن فقد أخذ يوسع أطراف مملكته في وسط الجزائر وشرقها فوصل إلى تنس و مازونة و المدية وتوجه نحو الجنوب فاتحا.

وفي هذه الأثناء كان الملك المريني أبو يعقوب قد وطد العزم على أخذ تلمسان واستئصال شافتها فنصب الحصار عليها بكيفية لم يسبق لها في التاريخ ، ذلك أنه ابتنى أمام المدينة المحاصرة مدينة أخرى عظيمة ذات قصور ومساجد وحمامات وأسواق وسماها (المنصورة) على بعد نحو 4 كلم من تلمسان واستمر الحصار من خلالها بهذه الصفة ثماني سنوات ، وبلغت الفاقة بأهل تلمسان مبلغ عظيما ومات من أهلها جوعا وقتلا نحو الـ 120,000 ولما اشتد الكرب إلى هذه الدرجة عزم الملك أبو زيان ابن أبي سعيد على الخروج والاصطلاء بنار المعركة الحاسمة التي ظن كل انسان أن تلمسان ستذهب فيها فريسة لبني مرين ، انقض أحد العبيد على السلطان المريني فقتله وانسحبت جنوده بعد أن أخلت المنصورة واشترطت على الأمير التلمساني عدم مسها بسوء ، أراد الخليفة أن يدخل الزاب تحت سلطته و الزاب يومئذ خاضع لسلطة بني حفص التونسية فأرسل جنده

[1] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص ص 29 . 28

وكاد يستولي على بجاية و قسنطينة لولا خيانة بعض القبائل فانكسر الجند ثم أعاد أمير تلمسان الحملة على الحفصيين فاحتل الجند التلمساني تونس وفر ملكها الحفصي واستعان على المنتصر ابن تاشفين بالملك المريني (فتحرك المارينيين وأعاد حصاره لتلمسان ، وفي 28 رمضان 737 هـ دخلوا المدينة عنوة ومات فيها السلطان وأبناؤه موت الأبطال وبذلك انتهت دولة بني عبد الواد بعدما ملكت 104 من السنين)[1].

و(في سنة 670 هـ جهز أبو موسى حمو الزياني جندا عظيما عربيا من تونس ووثب على تلمسان وثبة صادقة ففتحها وأعاد ملك بني عمه إلا أن الدولة الناشئة الجديدة لم تتخذ اسم بني عبد بني عبد الواد ، بل كانت الدولة بني زيان وأظهر أبو موسى حمو الثاني من العظمة في الملك والإدارة ما أظهره يغمراسن قبله في ميدان الحرب والجلادة)[2].

ولقد أطلق ملوك بني زيان على أنفسهم لقب أمير المؤمنين وأحاطوا الدولة بسياج من الأبهة والجلال وقسموا السلطة إلى ثلاث شعب :(الشعبة العسكرية يتولاها صاحب السيف والسلطة الإدارية يتولاها صاحب القلم والسلطة القضائية يتولاها قاضي القضاة وكان المزوار أو الوزير الأكبر يتولى الإشراف على كل الإدارات وتحت سلطته صاحب الأشغال أو وزير المالية والتعمير وديوان الإنشاء المكلف بالمراسلات العامة والذي اشتغل فيه رجال من كبار الأدباء والعلماء سجل التاريخ أسمائهم وفي كل مدينة وقبيلة يوجد الحافظ وهو الوالي وإلى جانبه المحتسب وهو حافظ النظام الإسلامي والقاضي الذي ينشر العدل بين الناس وغيرهم من موظفي الدولة وجبات الضرائب فكان النظام العام من أحسن النظم التي نشأت في القطر الجزائري)[3].

الإسبان والأتراك والزيانيون

[1] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص30

[2] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 30

[3] نفسه ص 33 ـ 32

كان الإسبان منتشون بالنصر على المسلمين في الأندلس فأخذوا يتبعونهم في البحر بعد هروبهم من الأندلس وسقوط آخر قلاعهم هناك ، فرأى الإسبان أن يعيدوا الكرة على المسلمين في قعر دارهم فأخذوا يعتدون على السواحل المغربية وما عتموا حتى احتلوا المرسى الكبير ثم مرسى وهران سنة 1509 م، لقد كانت القرصنة البرتغالية الإسبانية تفتك بالمسلمين الفتك الذريع وتستذل رقابهم لولا أن الأتراك العثمانيون كانوا قد وطدوا في المشرق أقدامهم وشيدوا لهم أسطولا عتيدا واشتهر منهم رجال البحر منهم عروج وخير الدين (كانا قد تطوعا لنقل المسلمين الفارين من الأندلس إلى سواحل المغرب ، عندها تم تعاقدهم مع الأمير الحفصي التونسي على أن يجعل قاعدة أعمالهم البحرية في جزيرة جربة)[1] .

وكان الضعف والوهن قد استولى على دولة بني حفص وبني زيان معا .فوجه الإسبان أنظارهم الدنيسة إلى هذه البلاد فجعلوا احتلالها نصب أعينهم وكان احتلالهم لوهران وبجاية وتونس نفسها مثالا من أفظع وأبشع مثل في التاريخ وارتكبوا المذابح وانتهاك الحرمات ما يعجز عن وصفه القلم ويخجل من ذكره الفم ، في ذلك الجو القاتم والعصر المظلم ظهرت مراكب القرصان الأتراك كما تظهر بارقة الأمل وسط ظلام اليأس والقنوت وكانت الحروب كبيرة بين الإسبان والأتراك ، وكانت الدسائس وكانت الفتن إلا أن خير الدين تمكن أخيرا من امتلاك مدينه الجزائر سنة 1516 م ، وقد كانت جزائر بني مزغنة تحكمها هيئه بلدية مستقلة كان على رأسها العلامة والرجل الصالح المشهور عبد الرحمن الثعالبي فلما مات خلفه سالم السالمي وانتقلت الرئاسة من الثعالب الى بني سالم وخشي أهل المدينة أن يطمع فيهم الإسبان وسئموا حكم سالم الجائر فأرسلوا يستنجدون ببربروس فقدم وجعل مدينه الجزائر عاصمة مملكته التي أسسها على حسابه وهكذا أصبحت القوات التي تتنازع ملك الجزائر ثلاث قوى: بني زيان الواهية ، وقوة الإسبان المعتدية وقوة الأتراك المهاجمة ، ووجد الأتراك من المهاجرين الأندلسيين عضدا متينا وسندا عظيما لمحاربة الإسبان وراء ملوك بني زيان

[1] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 32

انهم يقفون بين خطرين جسيمين : الخطر الاسباني ، وخطر الأتراك ، فكانوا تارة يعتمدون على الإسبان ضد الأتراك وتاره يلجؤون للأتراك ضد الإسبان(وفي هذه الأثناء كانت دولة بني زيان تأذن بالرحيل إلى غير رجعة ووسط تلك العواصف الهائلة خاصة بعد أن عمد ملوكها إلى الدخول تحت حمايه العدو الإسباني ، خشية السقوط تحت سلطة الاتراك العثمانيين حتى سئم أهل تلمسان ذلك الجور والعسف وأفتى مجلس علماء تلمسان بخلع الحسن آخر ملوك بني زيان، فخرج من تلمسان والتجا إلى اسبانيا وبها مات)[1].

واستقر الحكم نهائيا للأتراك العثمانيين الذين انقذوا البلاد من شر الاحتلال الإسباني الوبيل، ولولا تدخل الأتراك يومئذ لكان للإسبان بهذه الديار هجمات سوداء يسجلها لهم التاريخ بكل خزي وعار ، ولقد كان سبب انهيار ملك بني زيان بتلمسان إضافة إلى الخطر الإسباني والتوسع التركي العثماني كثرة تهالك الأمراء على الملك وقد غرتهم مظاهر النعيم والجلال الذي هم فيه وإذا عدنا للحديث عن الإسبان فهم لا يمثلون خطرا على بلاد المغرب (وخاصة بعد قضائهم الفظيع على مملكتي غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس) فحسب (بل تعدو ذلك إلى مهاجمتهم للثغور الإسلامية والسواحل المغاربية وخاصة ببلاد المغرب الأوسط (الجزائر) حيث صادف كما سبق ذكره وأن وقعت هذه الهجمات في أواخر أيام الدولة الزيانية ووهن رابطتها وتهالك أمراءها على الملك حتى أصبح بعضهم لعبة في أيدي الطامعين الإسبان)[2].

وهكذا(انتهت دولة بني زيان بعد أن حكمت مدة 300 سنة وعامين منها 104 سنة باسم دولة بني عبد الواد و 198 سنة باسم دولة بني زيان و لقد كانت هذه الدولة رغم ما اعتراها

[1] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص ص 32 ـ 33 34

[2] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 34

من اضطراب وقلائل من أعظم دول المغرب الأوسط ، تأسست وتوسعت وحكمت فتألقت وكانت نهضتها العلمية والصناعية والتجارية من أكبر النهضات التي عرفتها المنطقة)[1].

المطلب الثالث : الكيانات السياسية التي وصل امتدادها إلى الجزائر

1-الدولة الإدريسية

لم يتطرق الأستاذ أحمد توفيق المدني في تناوله لتاريخ الجزائر الوسيط للدولة الإدريسية ، نظرا لما اشتهر عليها أنها دولة مغرب أقصى ، وربما لم تصله معلومات حول امتداد حدود الدولة الإدريسية إلى داخل القطر الجزائري ، لكن ذلك لم يثن الكثير من الكتاب المعاصرين عن ذكر الأدارسة ووصولهم إلى أرض الجزائر فنجد عبد الرحمان الجيلالي في كتابه: تاريخ الجزائر العام يقول :(وإذا نظرنا إلى حدود الجزائر الإدريسية وجدناها ، لا تتعدى جهة الشمال الشرقي لمدينة وهران ونهر الشلف ومن جهة الجنوب سهول غريس بناحية معسكر إلى جبال مديونة قبلي فاس ، وبذلك نقول أنها تمتد على ساحل الريف غربا إلى أرض الحضنة من عمالة قسنطينة شرقا ، ثم تعود بناحية تنس غربا وجنوب الشلف إلى مدينة مليانة وتنتهي بمدينة متيجة)[2]، وبغض النظر عن منشأ و تأسيس الدولة العلوية الإدريسية بالمغرب الأقصى وامتداد حدودها إلى الجزائر الحالية فإن هذا الأمر يأخذنا إلى تناول موضوع في درجة كبيرة من الأهمية وهو : ممالك بني سليمان الأشراف في الجزائر .

(السليمانيون يقصد بهم بني سليمان بن عبد الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، و الحسن السبط ، هو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وابن السيدة فاطمة الزهراء

[1] أنظر:أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف الميليني المديوني التلمساني ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان ، ط 1908، المطبعة الثعالبية

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 280

رضي الله عنها ، بنت رسول الله سيدنا محمد صل الله عليه وسلم ، وادريس مؤسس الدولة الادريسية في المغرب الأقصى هو عم السليمانيين يلتقيان في الجد (عبد الله الكامل))[1].

أ- تلمسان والحكم الإدريسي

يعتبر المؤرخون والباحثون أن المنطقة الممتدة من تلمسان إلى وادي شلف خلال الفترة التاريخية من:(173 هـ/ 789 م) إلى زمن دخول العبيدين إليها إقليما تابعا للدولة الإدريسية فإلى أي مدى يعتبر هذا الطرح صحيحا ؟.

(مكث إدريس في تلمسان مده تسعة شهور)[2] ، وأول عمل قام به بنى مسجدها وأتقنه ووضع فيه منبرا وكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الإمام إدريس ابن عبد الله ابن الحسن ابن الحسن ابن علي . رضي الله عنهم . وذلك في صفر (174 هـ/ 790 م)[3]، وعندما خرج إدريس من تلمسان عائدا إلى فاس يكون قد عقد لأحد بالإمارة فيها فاذا استندنا إلى نصين لابن خلدون :(فان الولاية عليها كانت لأخيه سليمان سجل له بولاية تلمسان)[4]، وفي موضع آخر يقول: (وجاء على أثره من المشرق أخوه سليمان بن عبد الله فنزلها وولاه أمرها)[5] ، لكن ابن خلدون يجعل سنة دخول إدريس الثاني بتلمسان بعد سنة 197(هـ/ 812 م) حيث يقول:(ثم خرج غازيا المصامدة سنة 97 فافتتح بلادهم ودانوا له بدعوته ثم غزا تلمسان وجدد مسجدها وأصلح منبرها وقام بها ثلاثة سنين)[6].

ب- تلمسان السليمانية

[1] كروم عيسى، تلمسان إمارة سليمانية (172هـ . 342 هـ/ 788م . 953 م) ، مقال بمجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية ،المجلد6 ، ديسمبر 2022 ، ص 1010 ، بتصرف

[2] . محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 ، ص62

[3] عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، ج4 ، الدولة الإدريسية، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب،1987 ، ص 15

[4] ابن خلدون ، العبر،ج7 ، ص34

[5] نفسه ، ص 102

[6] نفسه ، ج4 ، ص 18

يمكن القول:(أن تلمسان ظلت إدريسية إلى غاية سنة 213(هـ/ 828 م) إثر وفاة إدريس الأصغر حيث تم تقسيم الدولة الإدريسية بين أبنائه)[1] وذلك بأمر من كنزة أم إدريس الأصغر التي (أشارت على محمد ابن إدريس بتقسيم البلاد مع إخوته)[2] ، وبقيت تلمسان في أيدي بني سليمان مستقلين عن الأدارسة.

حيث حافظ محمد ابن سليمان على هذا الاستقلال فتجنب الدخول في الحروب والفتن (منه تفرعت الفروع السليمانية)[3]،وخص أبنائه كل واحد بثغر من ثغور المغرب الأوسط تتوارثه أسرته ، وهكذا نراه قد اتبع نفسه أسلوب ابن عمه محمد بن إدريس فظل المغرب الأوسط للعلويين السليمانيين والمغرب الأقصى للعلويين الإدرسيين إلى أن دخل العبيديون فقضوا عليهم جميعا، وهكذا فقد كانت البداية مع سليمان بن عبد الله الكامل ثم مع ابنه محمد بن سليمان والذي بدوره أرسى دعائم مملكته التي جاورت الدولة الرستمية ودولة الأدارسة إلى أن هاجمتها قوات الدولة الفاطمية وقضت عليها للأبد سنة 343 هـ .

2-الدولة الأغلبية

مما يحسب للأستاذ احمد توفيق المدني هو عدم حصره للدول التي نشأت على أرض الجزائر في الدولة الرستمية أو الحمادية أو الزيانية بل يدرج الدولة الأغلبية كدولة جزائرية رغم وقوع عاصمتها في القيروان من المغرب الأدنى تونس ، ذلك أنها كانت تشتمل أراضي واسعة من الجزائر فكانت طبنة (بريكة) حاليا دار إمارة أغلبية بالجزائر ، فقد شملت الدولة الأغلبية عمالة قسنطينة وبلاد الزاب من أرض الجزائر ، يومها كان الشرق الجزائري الزاب

[1] ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق كارل يوجن،دار الطباعة المدرسية، اوبسالة ،1843 ، ص8

[2] . ابن أبي الزرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص28

[3] عبد الله سيد علي حشلاف ، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ،المطبعة التونسية ،1939 ، ص19

يتمخض عن حادث جسيم هو(تأسيس الدولة البربرية الإسلامية العظيمة دولة بني الأغلب فقد تأسست سنة 184 هـ واستمرت الى 303 هـ جاعلة عاصمتها القيروان)[1].

أما عند حديثنا عن امتداد هذه الدولة في أرض الجزائر فقد كانت تمتد من سكيكدة شرقا إلى وطني زواوه غرب ومن ميلة وسطيف شمالا إلى شط الجريد جنوبا وقد ذكر اليعقوبي أنه: (قد قدرت مساحة القطر الجزائري يومئذ ب 18400 ميلا)[2] ، (وقد كانت بلاد الزاب الجزائرية هي بلاد نوميديا القديمة تمتد من بجاية على البحر المتوسط إلى الصحراء وتشمل غرب المسيلة وبوسعادة وقد كانت قطعة من بلاد الدولة الأغلبية يولي الأمير الأغلبي ولايتها ، ويمنحهم استقلالا إداريا واسعا ، ويولي قاضي القيروان قضاتها يحكمون بين الناس بالعدل والإنصاف)[3] .

3-الدولة الفاطمية

في وقت واحد انقرضت ثلاث من دول المغرب الاسلامي، دولة بني الأغلب بافريقية، ودولة تيهارت بالمغرب الاوسط ، ودولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، لتحل محلها دولة مغربية واحدة هي دولة الفاطميين الشيعة ،(التي جعلت عاصمتها مدينة المهدية على الساحل التونسي ووحدت المغرب العربي في دولة واحد) [4] .

عمل رجال الشيعة العبيدية الذين وطد أمرهم بالمغرب الاسلامي أبوعبد الله الشيعي على بث الدعوة الشيعية بين قبائل كتامة ، التي تسكن أكبر أقسام الزاب الأغلبي وتولى زعامة كتامة الداعية، أبو عبد الله الشيعي فلما آنس من نفسه القوة هاجم بني الأغلب فدمر ملكهم في واقعة الاربس وفر آخرهم زيادة الله الثالث إلى المشرق سنة 296 هـ ، (في تلك الأثناء

[1] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 22

[2] الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص 264

[3] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 22

[4] أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 57

حول أبو عبيد الله نظره نحو دولة بني رستم فحطمها وهكذا أصبحت الجزائر خاضعة لسلطان الدولة الشيعية ، ولقد اتخذ عبيد الله الذي لقب بالمهدي عاصمة ملكه مدينة المهدية ولما تولى المعز سنه 341هـ هـ الخلافة افتتح مصر والشام ، وأسس مدينة القاهرة ، ثم انتقل إليها طامعا في بسط سلطانه إلى جميع بلاد العالم الإسلامي كلها)[1] ، فلأول مرة في التاريخ دخل المغرب كله تونس والجزائر والمغرب الاقصى تحت حكم دولة واحدة وإدارة واحدة فسمي ذلك بالتوحيد الفاطمي لبلاد المغرب ،(كما اختط أبو القاسم ابن عبيد الله المهدي مدينه المحمدية وهي المسيلة حاليا ثم ولى على الزاب الفاطمي أبي الحسن علي بن حمدون فاتخذ مركز إدارته المسيلة وأصبح وكأنه مستقلا إلى أن قضى عليها بلكين ابن زيري بن مناد سنة 362 هـ)[2].

ولذا كما ذكرنا فإنه لأول مرة منذ سقوط الأمويين ينضوي المغرب الاسلامي تحت راية سياسية واحدة : هي الدولة الفاطمية الشيعية العبيدية ، (فقد كان بالوطن الجزائري آنذاك أربع ولايات : ولاية المسيلة ، وهي تشتمل على مواطن زناتة بالزاب والحضنة وولاية بغاي المشتملة على وطن كتامة من نواحي عنابة وقالمة ، إلى نواحي سطيف وجيجل وولاية أشير المحتوية على مواطن صنهاجة وما يجاورها وولاية تيهارت ، المشتملة على مواطن مغراوة ما بين مليانة و مازونة ويفرن وغالبة زناتة)[3] ، فالفاطميون الشيعة حكموا بلاد المغرب بعدما كان دولا وإمارات مختلفة ولو شكليا منذ زمن الأمويين ولفترة قصيرة بالنسبة لعمر الخلافة الفاطمية ، وقد برزت هذه الوحدة في وحدة القيادة للدولة الواحدة وامتدت في مراحله السابقة لتشمل مصر والشام ، وقد ظهر بهذه الدولة مفكرون كانوا في مستواها ، كرسوا توجهها وساعدوا على تثبيت أركانها ومن هؤلاء القاضي النعمان الذي حرص في مؤلفاته على

[1] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 24

[2] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر، ص 24

[3] الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص 280

تسجيل محاضر المجالس التي كان يراسها الخلفاء ، والقرارات التي تصدرها الخلافة من أجل تحقيق بعض الأغراض السياسية للدولة وهي[1]:

أولا : الإسهام في تبليغ هذه القرارات ومن ثم المساهمة في تنفيذها ،

ثانيا: إرساء تقاليد سياسية للدولة ،

ثالثا : جعل هذه القرارات مرجعا وقاعدة سياسية لكل المسؤولين في الدولة في مختلف مراتبهم.

رابعا : التأصيل لفقه سياسي طابعه إسماعيلي ، ظهرت بعض ملامحه في عدد من مؤلفات القاضي النعمان مثل: كتاب (المجالس و المسايرات).

وآداب إتباع الأئمة والرسالة المذهبية وغيرها، وانطلاقا من هذا يمكن اعتبار القاضي النعمان ، فقيها وسياسيا ورجل دولة بمفهوم عصرنا، وفي حديثنا عن الدولة الفاطمية ، فإن المغرب الاوسط(الجزائر) شاركت في التأسيس لهذا العلم من خلال جهود النعمان وجهود أخرين كابن خلدون ، مثل ما ساهم المشرق من خلال جهود الكثيرين كابن قتيبة والماوردي هذا بالنسبة لمساهمة العلماء والنخبة في التأسيس الفاطمي في بلاد المغرب والجزائر خاصة ، وإذا عدنا إلى بدايات الدعوة الشيعية الأولى نجد أن دعاة المهدي الشيعي قد ركزوا على قبيلة كتامة وكانت قبيلة جزائرية ، في النهوض بأعباء دولة أبي عبيد واحتضانها للمذهب الاسماعيلي وعلى أكتافها وتحت ظلال سيوفها خضعت المغرب الاسلامي لسلطان الفاطميين ، وفي هذا نجد أن القاضي النعمان قد قدم للدولة الفاطمية (تشجيعه على

[1] اسماعيل سامعي ، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في ارساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب ق4 هـ / 10 م ، مركز الكتاب العربي ، (د ط) ، ص 122

استمرار دور قبيلة كتامة ومشاركتها في إدارة الحكم ، وقد نصح بالأخذ برأيها والاستعانة بها في محاربة الانحرافات ، إدراكا منه باستقامتها وإخلاصها)[1] .

4-الدولة المرابطية

رغم عدم تطرق الأستاذ أحمد توفيق المدني لدولة المرابطين أثناء تناوله لتاريخ الجزائر في الفترة الوسيطة إلا أن المرابطين قد توسعوا إلى بلاد الجزائر، وضموا أراضي واسعة منها إلى دولتهم .

المرابطون ينتمون إلى قبيلة لمتونة إحدى بطون قبائل صنهاجة الجنوب، واشتهرت أيضا باسم دولة الملثمين لاتخاذ قومها اللثام شعارا يتمايزون به عن غيرهم، وكان مستقر هذه القبيلة بأعماق الصحراء، وبعدها ظهر عبد الله بن ياسين الجزولي الذي جاء به الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي وأسس رباطه بوادي النيجر –السنغال– فلازمه منهم جماعة عرفوا فيما بعد بالمرابطين، وعلى أيديهم تم تأسيس هذه الدولة في سنة 434 هـ/1042 م.

(توجهت جموع المرابطين في سنة 447 هـ/1055م إلى بلاد درعة وانتهت المعركة بهزيمة قبيلة مغرواة، وبعدها دخل المرابطون إلى سجلماسة، وفي سنة 448 هـ/1056م توفي الأمير يحي بن عمر اللمتوني فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر، وسار المرابطون صوب بلاد السوس، وتم اختيار يوسف بن تاشفين لقيادة الجيش المرابطي، وتمكن هذا الأخير من الاستيلاء على بلاد جزولة وبلدة ماسة وتارودنت عاصمة بلاد السوس، وتمكنوا من دخول أغمات في 449 هـ/ 1057 م، ثم دخلوا تادلا، وتم القضاء على مملكة برغواطة، وتمكن يوسف بن تاشفين من التوجه بجيوشه شمالا وقام ببناء مدينة مراكش في سنة 454هـ/ 1062م، وجعلها عاصمة لدولته الجديدة، وفي سنة 462 هـ/1069 م تمكن من السيطرة

[1] اسماعيل سامعي ، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في ارساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب (ق4 هـ / 10 م) ، ص 123 .

على مدينة فاس، ومن سنة 465هـ/1072 م إلى سنة 470 هـ/1077 م تمكن من السيطرة على ملوية وطنجة)[1].

بعد انتهاء يوسف بن تاشفين من فتح جل المغرب الأقصى ، تطلع إلى التوسع على حساب المغرب الأوسط ، (فابتدأ بمحاربة مغاورة ملوك تلمسان، وسار الى بلاد زناتة فظفر بعلي بن الأمير العباسي فقتلوه وانكفئوا راجعين من غزواتهم ، ثم توجه الى مليلة وسائر بلاد الريف فتمكن من افتتاحها ، ثم افتتح المرابطون تنس ووهران وجبل وانشريس إلى جزائر بني مزغنة وتمكن من فتحها وبنى بها جامعا لا يزال إلى اليوم يسمى بالجامع الكبير)[2]، وهكذا ضم المرابطون قرابة نصف الجزائر فنرى أنهم توسعوا من المغرب الأقصى غربا إلى جزائر بني مزغنة شرقا وولى عليها ابنه علي بن يوسف بن تاشفين ، حتى أضحى الجزء الغربي من الجزائر ولاية مرابطية.

وكانت الدولة المرابطية تتبنى المذهب السني على مذهب الإمام مالك، وكان أمير المرابطين يلقب بأمير المسلمين، وقد أعلن ولاءه للخلافة العباسية ببغداد.

ومن أبرز ولاة الجزائر في العهد المرابطي نذكر محمد بن تينعمر الذي ولاه يوسف بن تاشفين على تلمسان في سنة 475 هـ/1082 م، وتولى من بعده أخوه تاشفين بن تينعمر الذي خرج لحصار مدينة جزائر بني مزغنة فدخلها بعد قتال عنيف، وتمكن من دخول مدينة أشير، ووقعت بينه وبين ملوك بني حماد فتنة أدت إلى عزله عن منصبه في سنة 498 هـ/ 1103م، فتولى من بعده القائد مزدلي، ثم محمد المدعو الشيور فبقي بها إلى سقطت بيد الموحدين، استمر الغرب الجزائري تحت حكم المرابطين إلى أن ظهرت دولة الموحدين بأقصى بلاد السوس من المغرب الأقصى، حيث تمكنوا من دخول تلمسان في يوم 29

[1] طيروش بن خولة وبن لعرج سمية ، المغرب الأوسط في عهد المرابطين والموحدين . دراسة سياسية وحضارية . مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب الأوسط الوسيط ،جامعة تيارت ، 2015/2014 ، ص 17 ، بتصرف

[2] طيروش بن خولة وبن لعرج سمية ، المغرب الأوسط في عهد المرابطين والموحدين . دراسة سياسية وحضارية . مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب الأوسط الوسيط ،جامعة تيارت ، 2015/2014 ، ص35 ، بتصرف

رمضان 539هـ/26 مارس 1145م، وانتهى حكم المرابطين بالغرب الجزائري الذي استمر 67 عاما.

5-الدولة الموحدية :

خلال القرن السادس الهجري خضع المغرب الإسلامي لسلطة الموحدين، و كان لشخصية محمد بن تومرت دور الكبير في ذلك، لكن بعد وفاته سنة(524هـ/1130م)، خلفه عبد المؤمن بن علي(2) الذي وطد أركان الدولة الموحدية و التي استمرت من سنة(524 هـ إلى 668 هـ)، (ففي هذه السنة 524 هـ ، أسس عبد المؤمن دولة الموحدين ، وقضى على دولة المرابطين في المغرب الأقصى)[1]، خاض محمد بن تومرت عدة معارك ضد المرابطين، وتمكن من هزيمتهم، ثم قرر التوجه إلى عاصمة المرابطين مراكش وقام بحصارها، فتصدى له المرابطون وتمكنوا من هزيمته في معركة البحيرة سنة 524هـ/1130م ، وتوفي بعدها محمد بن تومرت، فتمت بيعة عبد المؤمن بن علي الندرومي الكومي الجزائري بالخلافة .

قرر عبد المؤمن بن علي التوجه بجنوده إلى الغرب الجزائري، ففي سنة 537هـ/1142م أرسل قائده أبا حفص عمر بن يحي الهنتاتي على رأس جيش إلى وهران، فحاصرها ولما علم بانفراد الأمير المرابطي تاشفين بن علي عن الحامية فقصدوه وأحاطوا به وأحرقوا بابه فخرج تاشفين بن علي راكبا فتردى به فرسه في البحر فهلك، ثم توجه الموحدون بعد ذلك إلى سهل منداس في وسط بلاد زناتة فدخلوا في طاعتهم، وفرّ ميمون بن حمدون إلى متيجة ومنها كتب إلى عبد المؤمن بالطاعة والولاء، ثم توجهوا إلى تلمسان، ودخلها الموحدون في 29 رمضان 539هـ//26 مارس1145م، ثم عادوا إلى وهران وتمكنوا من دخولها في

[1] توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 61

صبيحة عيد الفطر من سنة 539هـ/مارس1145م، ثم سيطروا على مدينة مليانة في سنة 544هـ/1149م[1].

وتمكن عبد المؤمن من اقتحام بجاية عاصمة الحماديين في ذي القعدة من سنة (547هـ/فيفري 1152م) واستطاع الموحدون من دخول بونة (عنابة) في سنة (551هـ/1156م)، وبذلك تم للموحدين خلال مرحلة وجيزة (12 سنة) من السيطرة على بلاد المغرب الأوسط بأكملها، بعد القضاء على الحكم المرابطي في الغرب الجزائري، والحكم الحمادي في الشرق الجزائري ،وكانت الجزائر في العهد الموحدي مقسمة إلى ولايتين كبيرتين. الأولى: ولاية تلمسان التي كانت تمتد من ملوية غربا إلى نهر مينة شرقا، والولاية الثانية: ولاية بجاية التي كانت تمتد إلى قسنطينة، ومن أشهر ولاة تلمسان نذكر سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي الذي تولى الحكم مع بداية الحكم الموحدي للمدينة، وفي سنة(549هـ/1154م) ، تم تعيين أبي حفص عمر بن عبد المؤمن بن علي واليا على تلمسان، ثم من بعده أبي عمران موسى بن عبد المؤمن في سنة (556هـ/1161م). وفي سنة (576 هـ/1181 م)عين يوسف بن عبد المؤمن أبا موسى عيسى بن عبد المؤمن واليا على المدينة[2].

ومن ولاة بجاية نذكر: أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي، ثم في سنة 561هـ/1166م تولى حكم بجاية زكريا بن عبد المؤمن بن علي.

كان حكام الدولة الموحدية يتلقبون بالخلفاء، ومنهم من تلقب بالمنصور والناصر، وكان الحكم وراثيا في عقب عبد المؤمن بن علي، وقد (ودامت السلطة الموحدية تحكم البلاد الجزائرية كلها مدة السبعين عاما)[3].

---

[1] طيروش بن خولة و بن لعرج سمية ، المغرب الأوسط في عهد المرابطين والموحدين . دراسة سياسية وحضارية ، ص ص34. 35 ، بتصرف

[2] طيروش بن خولة و بن لعرج سمية ، المغرب الأوسط في عهد المرابطين والموحدين . دراسة سياسية وحضارية ، ص 64 ، بتصرف

[3] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 28

المبحث الثاني: أحمد توفيق المدني مؤرخا لتاريخ الاجتماعي للجزائر الوسيطة

أسهم الأستاذ أحمد توفيق المدني عند كتابته عن تاريخ الجزائر في العصر الوسيط في ابرازه لمكونات مجتمع المغرب الوسيط آنذاك وتفاعلها فيما بينها ، فئات المجتمع المتمثل في البربر و القبائل العربية المهاجرة من بني هلال وبني سليم ، كما عرج عن طائفتين لزمتا، مجتمع الجزائر الوسيطة رغم قلة عددهما وهما: اليهود والزنوج لما لهذين المكونين من أهمية ودور في دراسة مجتمع بلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط (الجزائر) خصوصا.

المطلب الأول: القبائل البربرية ومواطنها في الجزائر

1- القبائل البربرية

يشير الأستاذ أحمد توفيق المدني في تأصيله لنسب البربر بالمغرب الأوسط فيذكر أنه (اعتمادا على أشهر النسابين من العرب والبربر والصادقين من الأوروبيين فإن البربر عنصر آسيوي من أروما كنعان وأنهم هاجروا مع من هاجروا من بلادهم منذ فجر التاريخ واستقروا حينا بمصر ، وأخذوا عن قدماء المصريين بعض تقاليدهم الدينية كعبادة ((عمون)) ... وأثارهم المنقوشة ببعض جهات الجنوب تؤكد هذا ولربما قدم معهم بعض الفلاحين المصريين)[1] ،(ثم إن الكثير من الباحثين يؤكدون وجود شبه كبير بين البربر في بلادنا وبين سكان الصعيد المصري)[2]، والمصريون يطلقون لفظ بربري على ساكن الصعيد ، والبربر بالمغرب الأوسط ينقسمون إلى فرعين عظيمين: البرانس و المداغيس ((أبناء مادغيس)) الملقب بالأبتر ويقول بعض النسابة العرب: أن برنس و مادغيس من أب واحد و يقول بعضهم غير ذلك إنما الأصح أن كليهما من أبناء مازيغ بن كنعان بن حام أما البرانس فيتفرعون الى فروع كثيرة تجمعهم أصول: (صنهاجة، كتامة ، عجيسة ، أوربة ، ازداجة ،

[1] توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 32

[2] نفسه، ص 103

مصمودة ، اريغة ، لمطة ، جزورة ، هسكورة ، وأما المداغيش أو البتر، فهم كذلك فروع كثيرة تجمعها أربعة أصول : ضريسة ، لواتة ، نفوس، أداسة) .

والأغلبية الساحقة من البربر المستقرين بالقطر جزائري من البرانس ومنها : (صنهاجة وكتامة و مصمودة و لمطة) [1].

2- القبائل البربرية وتوزعها بالقطر الجزائري

أ) في عمالة قسنطينة

***من كتامة:**

قبائل بني خطاب في (المنطقة الجبلية من القل إلى بجاية ومجانة) ، بني سيلين قرب (الميلية ، جيجل) ،عياد قرب (اقبو) ، بنو مروان قرب (ميلة) ، جميلة ما بين سطيف وجيجل أولاد محمد قرب (جيجل) .

****** من صنهاجة:**

أمزيتة و عجيسة (ما بين مجانة وونوغة)، واسين (بني يفرن) في جبال أوراس وهم من زناته ويدعونهم الشاوية

ب) في عمالة الجزائر:

***من صنهاجة**

في جبال جرجرة المسماة ببلاد القبائل الكبرى: فسيلا، قسطولة ، (أوقنون) فراوسين (بني راثن)، يطروم (بني منقلات) ،عمور (بني يحيى) ، هجر (فتاية) وتنتشر في

[1]. نفسه ، ص 33

غرب مدينة الجزائر فيما بين شرشار وتنس وجبال ونشريس ، فروع من زناته وهي بني توجين بني مناد بني ، بني مناصر، زقزوق ، تغرين ، زنداك ، مغراوة ، بني كادي.

وفي جبال الوانشريس: مطماطة ، لواتة ، راشد ، وفي بلاد الشبكة، بني ميزاب وهم: من نفوسه وغيرها ، وفي عمالة الجزائر تسكن في المنطقة الجبلية الممتدة من وادي الساحل الى المدية ، ومن صور الغزلان (أومال) إلى سهول متيجة .

3) القبائل الصنهاجية المستعربة

أ) ناحية التيطري:

(متنان ، مزغنة ، جعد ، طلغاتة ،بوطوية ، خليل ، وتسكن ناحية التيطري جنوب المدية ومن صنهاجة المستعربة أيضا الأربع ، سنجاص ، الأغواط)[1].

ب)في عمالة وهران :

بوطوية ، من جهه سان لو ، ولواتة في (جنوب الأصنام . الشلف . اوريليان فيل .) ، بني لابت بين ثنية الأحد و تيارت ، بني وليد في جنوب تلمسان ، بني وسين قرب عمي موسى ، زناتة ، قرب تلمسان ، بني راشد قرب سور الغزلان)[2] ، ولهاصة ، في طرارة ، وهما من السنوس تقطنان الجبال التي تكتنف تلمسان شمالا وغربا.

المطلب الثاني: القبائل العربية المهاجرة للجزائر

العرب هم الأغلبية الساحقة لسكان القطر الجزائري ، وقد استقرت أقدامهم في بلاد المغرب العربي منذ أيام الفتح الإسلامي الأول ، وتغلغلوا بين السكان الأولين من البربر

[1] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 125

[2] نفسه ، ص 127

يعلمونهم دين الإسلام ولغته العربية ، ويجمعونهم حول القرآن وسنة محمد . صلى الله عليه وسلم . (لكن الجند الأول جند رواد ، لم يكونوا كثير العدد فبقيت أكبر أقسام بلاد المغرب الأوسط على أمازيغيتها ، إلى أن حدثت تلك الهجرة التاريخية الشهيرة ، هجرة قبائل بني هلال وبني سليم من الصحراء شرق النيل)[1] ، إلى بلاد المغرب سنة 444 هـ .

من أسباب هجرة القبائل الهلالية إن النزوح والانتجاع والارتحال ضرورة تفرضها طبيعة البيئة التي تكيفت معها نفسية هذه القبائل العربية وأصبح يطبع كيانها، وكان تنقل القبائل لأسباب ضرورية ولظروف قاسية فرضتها قسوة البيئة ، إضافة إلى الطبيعة القبلية المقاتلة التي كانت تلك المجموعات تتميز بها. كما أن انتشار العرب في الأرض من جزيرتهم كانت في فترات متقدمة، وارتبط الانتشار بالعديد من الأسباب منها الفتح الإسلامي، فانساحوا في الأرض ، وكان انتشار العرب بعد ظهور الإسلام بالمهاجرة.

لقد كان قدومهم إلى بلاد المغرب عقوبة لحكام صنهاجة نظرا لاستقلالهم ببلاد المغرب وقطعهم للخطبة للخليفة الفاطمي ، وثانيا لأنهم لم يتأقلموا مع سكان مصر وأثاروا فيها القلاقل ، فقدموا بلاد المغرب ،(فتدفق سيلهم وتكاثر عددهم واختلطوا بالعنصر الأمازيغي المسلم اختلاطا وثيقا فتصاهر العنصران وامتزجا ، وصهرتهم بوتقة الإسلام والعروبة فكون منهم الشعب الجزائري العربي المسلم المجاهد في سبيل دينه وعروبيته ووطنه)[2].

كما يتهم التاريخ هؤلاء العرب بأنهم فتكوا بمدن بلاد المغرب وكانوا في هذه البلاد عنصر فساد وتخريب وكاد بعض المؤرخين يلصقهم بالوندال المخربين ومنهم ابن خلدون حيث يقول : (افريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم ، منذ أول المئة الخامسة وتمرسوا بها، لثلاثمئة وخمسين من السنين ، قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها ، بعد ما كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه ، من المعالم وتماثيل

[1] توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 29

[2] توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 29

البناء وشواهد القرى والمدر)[1] ، لكن كما نعلم، فالأعراب الذين قدموا افريقيا لم يكونوا متحضرين وتلك حقيقه لا ريب فيها ، إنما هم قدموا من بلاد الصعيد المصري ببداوتهم العربية يحملون الاخلاق العربية والخلال العربية وكل ما في العرب من محاسن ومن قساوة ، فكانت هجرتهم هجرة قوم أتوا ليستقروا في البلاد ولم يأتوا ليغزوا ويعودوا بالغنيمة أدراجهم ، وكان الواجب على الدولة الزيرية بالمغرب الأدنى والإدارة الحمادية بالمغرب الأوسط أن تنظر في أمر هؤلاء النازحين المهاجرين نظرة درس وبحث وتعتبرهم عنصرا جديدا أتى ليستقر في البلاد يجب أن تقبله على الرحب والسعة ، وكانت الأرض شاسعة تسع هؤلاء المهاجرين فكان من الممكن الميسور اقطاعهم ما يكفيهم من الأرض والاستفادة منهم ، لكن دولة صنهاجة أولا ، ودولة بني حماد ثانيا قد اعتبرتا الأعراب النازحين ، عدوا تجب مقاومته ، فأخذت نيران الفتن والحروب تشتعل بين الفريقين ولم يستقر الأعراب في البلاد إلا بعد عناء طويل ،لنرى النظرة الموضوعية التي درس بها الأستاذ أحمد توفيق المدني موضوع هجرة الأعراب فربما قد يعني ذاته في هذا التحليل عندما يقول : (فالمؤرخ المنصف لا يستطيع أن يجعل مسؤولية الحوادث التي وقعت ، ملقاة كلها على جانب الأعراب)[2] .

ومن الآثار الحضارية لهجرة قبائل بني هلال وبني سليم و أهم مآثر هؤلاء الهلاليين هو أنهم ربطوا المغرب العربي ببقية العالم العربي لغة و انتماء ، ذلك أن العرب قبل الهلاليين كان عددهم قليلا و مستقرين في الحواضر الكبرى كتونس و القيروان و كانت اللغة الغالبة على السكان هي الأمازيغية فجاء الهلاليون بأعدادهم الهائلة و انتشروا في جميع أصقاع المغرب العربي ومنها الجزائر، و عربوا البلاد فأصبح الشمال الإفريقي عربيا خالصا من حيث اللغة و من حيث كثرة السكان العرب و الأمازيغ المستعربين حتى صاروا يشكلون أغلب سكان الجزائر اليوم ، كما تقلص عدد البربر بإفريقية تونس حاليا وغلب العنصر

[1] عبد الرحمان بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، د ط ، ج1 ، ص 258

[2] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 26

العربي على التركيبة السكانية فأصبح البربر المحافظين على خصوصيتهم أقلية وانضم اليهم اخوانهم من عرب الفتح والأشراف من آل البيت (بنو سليمان في تلمسان و تنس من أسرة الأدارسة الأشراف) فابتلعوا بقايا البربر بالمصاهرة أو المجاورة ، فأضحت الجزائر عربية الدم واللسان.

لذا يجب النظر إلى الهجرة الهلالية بعين الموضوعية وعدم ترديد أقوال المغرضين ، (وعلى كل فهجرات الأعراب هي التي طبعت البلاد الجزائرية بالطابع العربي أبديا ، وركزت فيها اللغة العربية والعقلية العربية على أساس متين)[1] ، (وفي أيام بني حماد حدث حادث آخر بالجزائر لم يكن أقل تأثيرا على مستقبل حضارتها من همجة الأعراب وذلك هو: نزوح الكثير من مهاجري الأندلس إلى السواحل الجزائرية)[2] ،عندما أخذوا يشعرون بوهن السلطة الإسلامية هناك، وشدة بأس الإسبان ، فنقلوا إلى هذه الديار حضارة الأندلس الراقية البديعة.

المطلب الثالث : اليهود والزنوج

1 . اليهود

ينقسم اليهود من حيث أصلهم في الجزائر في العصر الوسيط إلى قسمين الأول منهم: (نازح من أرض فلسطين من أيام بختنصر سنة (320 ق م) و قسم بربري محض أخذ الديانة الموسوية عن أولئك النازحين أثناء الإدارة البونيقية والاحتلال الروماني)[3].

اليهود المهاجرون قد أخذوا يتوافدون على هذه البلاد الجزائر منذ سنة (320 ق م) أي السنة التي استولى فيها الملك الكلداني بختنصر(نايكود ونزور) على بيت المقدس فلجأ اليهود إلى بلاد . أبناء عمومتهم . الكنعانيين العرب وأبناء عمومتهم الكنعانيين البربر ، ثم لما خرب تيتوس الهيكل اليهودي الأعظم ببيت المقدس سنة (70 ق م) ، هاجرت موجة

[1] نفسه ، ص 26

[2] توفيق المدني ، كتاب الجزائر، ص .26

[3] نفسه ، ص 147

أخرى من اليهود وحلت بالشمال الافريقي واختلطت مع أهل البلاد اختلاطا متينا وأخيرا ولما تكالبت العنصرية الاسبانية على العنصر السامي(اليهود) وارتكبت في أفراده من الفظائع و الموبقات والتعذيب ما يشيب لهوله الصبيان ، اضطر اليهود الإسبان إلى الهجرة سنة 1492م ، ولم يجدوا إلا بلاد المسلمين ببلاد المغرب ومنها الجزائر تأويهم وتحميهم ، فنالت منهم الجزائر نصيبا وافرا ، وكان اليهود يجدون في الجزائر كل احسان واكرام ، ويعاملون بالحسنى على اعتبارهم أهل ذمة ، (ولما جاء الإسبان يريدون التنكيل بمدينة الجزائر سنتي 1516 م و 1519 م أدرك اليهود أنهم سيذوقون أشد التنكيل من أيدي الإسبان ان انتصروا .. فبذلوا مع المسلمين جهدا عظيما في الدفاع عنها)[1] .

وقد كان اليهود يشتغلون بالأعمال المالية والتجارية مثل ما يشتغل بنو جلدتهم في كل بلاد الدنيا ويجعلون مصالحهم المادية د فوق كل عاطفة و اعتبار ، وللحديث عن الدور الاقتصادي اليهودي في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط وفي الجزائر تحديدا ، فإنه وبعد سقوط دولة الموحدين وانقسام منطقة بلاد المغرب الى دويلات وامارات صغيرة ،(برز اليهود من جديد واستعادوا نفوذهم مستغلين الرعاية المرينية و الحفصية و الزيانية مقابل المال والمساعدات والاستشارات التي كانت تقدم من طرفهم للملوك والأمراء)[2].

كما نشطت تجارتهم في جميع أنحاء بلاد المغرب وكافة بلاد السودان ، خاصه مع مملكة مالي فنتج عنها توسع كبير لنفوذ اليهود واحتلالهم لمراكز عبور القوافل التجارية العابرة لبلاد السودان ومن هذه المراكز والمدن توات هذه المنطقة التي تقع على مشارف الصحراء والغنية بموقعها الجغرافي الحساس في الشبكة التجارية البرية ما بين القرنين 11 والـ 15 م ، (تحكم اليهود الذين كان عددهم كبيرا جدا بهذه الواحة بشكل متفاقم ونتج عن

[1] نفسه ، ص 148

[2] فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر ،ط2 ، 2004 ، ص 67

هذا تراجع لسياده المسلمين في هذه المنطقة التجارية الاستراتيجية الحساسة وصار اليهود هم مركز القرار بواسطة المال والخدمات)[1] .

لم يمر وقت طويل حتى انفجرت ردود فعل المسلمين ومنهم شاب في مقتبل العمر ، مثقف ومتدين تقي وورع غيور على الإسلام وديار المسلمين إنه: محمد ابن عبد الكريم المغيلي من قبيلة مغيلة البربرية الأصل بتلمسان ولد سنة (844 هـ/ 1440 م) وتتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي المتوفي سنة (875 هـ / حوالي 1471 م) ، يصفه عبد الرحمن الجيلالي بأنه (ترك تلمسان مسقط رأسه مغتاظا من سيطرة اليهود على المقاليد الفعلية للسلطة وذهب إلى توات بالصحراء وكان جريئا في الوقوف في وجه اليهود والحد من نفوذهم على المسلمين)[2].

اتخذ المغيلي من توات مقرا له دائما ، منذ أن ترك تلمسان سنة(780 هـ/1465م)،فكانت منطلقا في رحلته للسودان الغربي حيث يذكر أنه قال:(دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام)[3]، ويتلخص موقف المغيلي من يهود توات في أربع مسائل واشكالات أساسية حاول الاجابة عليها في كتابه(رسالة إلى كل مسلم ومسلمة) وعما يجب على كل مسلم من اجتناب الكفار، ولعل أهم هذه المسائل هي: مسألة بيع يهود توات حيث رأى في هذه المسألة هدم البيع ،التي أحدثها اليهود مع قاضي توات حيث رأى في هذه المسألة عدم هدم البيع التي أحدثها اليهود، مع قاضي توات الشيخ عبد الله بن أبي بكر الغاضوني، فحصل خلاف بينه وبين هذا الشيخ الذي وصلت بينهما إلى نعته بالدجال و الشيطان، وتطور هذا الخلاف الذي بينهما إلى مراسلة علماء فاس وتونس وتلمسان، حول الاستفتاء في هذه النازلة .

[1] نفسه ، ص 68

[2] فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، شركة دار الأمة ، الجزائر ،ط2 ، 2004 ، ص 76

[3] مولاي توهامي ، سلسة توات في أبرز الشخصيات من علماء وصالحي الإقليم ، أدرار ، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية ، ط1 ، 2015 ، ص 41

ولقد انقسم العلماء إلى قسمين الأول الذي تزعمه المغيلي ويرى وجوب هدم بيع اليهود ومن بين العلماء الذين أيدوا المغيلي أحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ/1507م)، وإبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (954هـ/1547م)،أما القسم الثاني فقد تزعمه الشيخ: الغضوني وقال بأن هؤلاء اليهود في غاية الذل والصغار وأنهم لم يخرجوا عن عقد ذمتهم، حتى تهدم بيعهم)[1]، وينكل بهم، ومن العلماء الذين وافقوا رأيه في نازلة توات أبي زكرياء بن أبي يحي البركات(910هـ/1504م) .كذلك رأى المغيلي منذ مجيئه إلى توات التجاوزات الخطيرة لليهود على الحدود الشرعية واستعلائهم على المسلمين، حيث رأى التساهل الكبير من طرف المسلمين مع هؤلاء اليهود فيستأمنونهم على أنفسهم وعيالهم وحتى في بناء بيعهم ،ومعصيتهم في ذلك كبيرة فإذا كان لا يجوز لمسلم أن يعين بناء كنيسة بأرض فالأحرى به ألا يساعدهم على بناءها بيده فهو من باب التعاون على الإثم والعدوان، ولذلك ألغى المغيلي عقد ذمة يهود توات وأحل دماءهم وأموالهم، ورأى بأن لا ذمة لهم ، فقد قال رسول الله . صل الله عليه وسلم . ((ألا نستعين بمشرك)) وهذا ما أدى إلى مواجهة بين المغيلي واليهود تمثلت في حربين الأولى:(822هـ/1477م) حيث كانت أولى خطواتها هدم بيع اليهود التي أحدثوها في تمنطيط وغيرها من القصور والواحات التواتية فقد حضي المغيلي بموالاة العلماء لرأيه فوافقوه في هذا الرأي، كذلك نصره أهالي توات فهدموا بيعهم وطلب منهم المغيلي قتل كل من يعارضهم سواء من اليهود أو المدافعين عنهم ،وذلك بمقولة كان يرددها((ويل لأولياء اليهود وهم الذين ينصرونهم في تعدي الحدود))[2].

بدأ حركته لمواجهة يهود توات والصحراء بكل حماسة وجرأة وإصرار ، رغم رفض العديد من الفقهاء والسياسيين دعمه ومساندته يقول المغيلي في كتابه (مصباح الأرواح في أصول

[1] الونشريسي أحمد بن يحي ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، تح مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، (د س ط) ص237

[2] شابيبي ياسين ، إقليم توات خلال القرن (9هـ/15م) وموقف الشيخ المغيلي التلمساني من يهودها، دراسات تاريخية ، ASJP ، العدد السادس، ص 48

الفلاح) حول اليهود: (فمن لا يبعد نفسه وأهله وماله وجميع أعماله عن الكفار فهو أجهل من الحمار لأنه لا عدو لنا مثل أعداء نبينا وسيدنا وشفيعنا محمد . صلى الله عليه وسلم . لا سيما إخوان القردة ، فإنهم أشد الناس عداوة لنا) ، ويستعرض المغيلي الكثير من الحوادث التي ظهرت وتظهر كرها اليهود وشماتتهم بالمسلمين فيقول: أن أعظمها طعنهم في نبينا واستهزائهم بصلاتنا ، المهم أن أحداث توات وتمنطيط التي تزعمها المغيلي انتهت بطرد اليهود من جزء من الصحراء وتهديم معابدهم والقضاء على احتكاراتهم ونفوذهم وسطوتهم على الناس إلى نهاية القرن 15 م، و(أمضى المغيلي بقية حياته في توات حتى وافته المنية سنة (909 هـ/ 1504 . 1505م))[1] ، قضى حياته في النفير وتحذير المسلمين إلى ما آلت إليه أوضاعهم من تدهور وانحطاط ، أكده سقوط غرناطة سنة 1492م ، ولم يمر وقت على وفاته حتى احتل الإسبان جزءا كبيرا من سواحل المنطقة بعد أن سقطت الأندلس بأيديهم واحتل الإسبان مدينة وهران من باب المرسى دون عناء بفضل خيانة يهودي يدعى اسطورة ، كان مكلفا بحراسة الثغر بحيث فتح الباب للجيش الإسباني.

2- الزنوج

هناك في المغرب الأوسط طائفة الزنوج إلا أنها قليلة جدا تسكن على الأكثر بلاد الجنوب وقد كان هؤلاء الزنوج عبيدا عند العرب يشترونهم من السودان وكان العبيد يعاملون في بلاد المغرب معاملة حسنة (وكانوا يتباهون بعتق العبيد وقبل ما يعتقونهم يلقنونهم الإسلام وكثير من الزنجيات كانت تصبح زوجة لسيدها فيعامل أبنائها معاملة أبنائه من زوجاته الأخريات وهؤلاء الزنوج صاروا من أحسن الناس إسلاما وقد حافظوا على كثيرا من عوائد الزنوج وتقاليدهم)[2].

[1]. سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، ص 76

[2] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 146

ولقد ساهمت المسالك والطرق التجارية في الانتعاش الاقتصادي داخل الأسواق المغاربية عامة والمغرب الأوسط (الجزائر) خاصة ، من خلال تنوع السلع والبضائع المختلفة لا سيما منها الرقيق (ولقد مثل هذه التجارة أبرز رافد للزنوج فكان النساخون يسافرون لمسافات بعيدة إلى أوروبا وبلاد السودان لجلب مختلف أنواع الرقيق)[1] ، ومنهم الرقيق الإفريقي ذو البشرة السوداء (الزنوج) المجلوب من بلاد السودان عبر التجارة البرية لمدن بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) ومن هذه المدن التي يتواجد بها السود الزنوج : ورجلان . ورقلة . حيث يقول ابن سعيد المغربي عن ورجلان:(وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد الى المغرب الاوسط وافريقي والسفر منها في الصحراء الى بلاد السودان كثيرا)[2].

ومن بعض صور الحياه اليومية للرقيق وخاصة الزنوج داخل مجتمع بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط (الجزائر) خاصة أنها كانت تتسم كغيرها من الشعوب والحضارات بخضوع العبد وطاعته العمياء لسيده فكان العبد لا يستطيع التصرف في أي أمر من أموره دون العودة إلى سيده لأخذ الإذن منه)[3]، ومن الأوصاف التي يجب أن يتصف بها العبيد بصوره عامة والزنوج أو السود منهم بصفة خاصة حتى يكون بضاعة مقبولة في سوق العبيد هي: أن يكون حسن الوجه جميل الاخلاق حافظا للسر وغيرها من الأوصاف هذه هي الشروط الواجب توفرها في العبد (خاصة بالنسبة للزوجة التي كانت في حاجة إلى من يحمل عليها أعباء وشؤون البيت)[4] ، غير أن الزنوج والعبيد عامة في بلاد المغرب الأوسط لم يعتبروا أكثر من أداة لإنجاز العمل ، وتكشف نصوص تاريخية عن العلاقة المتقلبة بين العبد وسيده و التي كانت طيبة تارة ومتوترة تارة أخرى ، كذلك (من القطاعات التي يتواجد بها الزنوج من العبيد هي الجيش والتنظيمات لحمل المؤونة وأغراض الجند العسكرية وتوفير الحطب

[1] أمينة قدراوي ،فاطمة الزهراء سلام ، الرق في ظل الحكم المرابطي(الدور السياسي والعسكري 448هـ - 540 هـ)، جامعة آكلي محند أولحاج ، البويرة ،2015/2014م ، ص 37

[2] ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، اسماعيل العربي ، ط1 ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص 126

[3] إبراهيم القادري ، الإسلام السري في المغرب العربي، ط1 ، سينا للنشر ، مصر ، 1995 ، ص 238

[4] عبد الإله بن مليح ، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي ، ص ص 26 -27

وخدمة الأرض والغرس والسقاية وحراسة المزروعات ورعي المواشي وكان عمل الجواري منهن داخل المنازل والقصور يتمثل في الطبخ وسقاية الماء وغسل الثياب والنسيج بالإضافة إلى تربية الأبناء ، كما تولى الرقيق خدمة الدواب والقيام على حراستها وشؤونها وقد كان على السيد المالك للعبد إمداده باللباس وبالطعام)[1] .

المبحث الثالث: الاسهامات الحضارية للجزائر في العصر الوسيط من خلال أحمد توفيق المدني

المطلب الأول : الإسهامات العلمية والفكرية

1-عهد الدولة الرستمية

ازدهرت في عهد الدولة الرستمية حركة البحث العلمي ، فعمت الدروس العلمية سائر المساجد واشتهر في الأدب وعلوم الحديث أمثال : إبراهيم ابن عبد الرحمن التنسي المالكي ، وقاسم ابن عبد الرحمن والأديب الكبير ابن الهرمة والشاعر العظيم بكر بن حماد (ت 216 هـ)[2]،(ومن أغرب ما يذكر عن هذه الدولة وفرت تسامحها الديني مع اليهود من أبناء البلد ، حيث نجد أنه نبغ من اليهود أمثال: ابن قريش الذي ترك كتابا برهن فيه على أن العربية والعبرية والكنعانية والبربرية ذات أصل واحد ، ولا تزال نسخة منه في مكتبة اوكسفورد)[3].

ولنا أن نتساءل كيف للأستاذ أحمد توفيق المدني أن يشيد بالدولة الرستمية وتراثها العلمي والادبي وبقيامها على أرض المغرب الأوسط وهم إباضية خوارج غير سنيين على غرار باقي سكان بلاد المغرب الذين رفضوا كل المذاهب والأفكار وتمسكوا بالمذهب المالكي رغم

[1] هبيرات بلال ، حلاق أحلام ، تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن 6 هـ / 12 م ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، قسم التاريخ ، جامعة المسيلة ، السنة الجامعية 2017/2016م ، ص 58

[2] توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص ص 56 . 57

[3] ينظر إلى، ابن الصغير الرستمي ، أخبار الأئمة الرستميين ق 3هـ ، تحقيق، محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي

نشر هذه الدول التي قامت على أرضه ومنها الدولة الرستمية لمذاهبهم بالقوة والقهر والسيف .؟

لكن يبدو أن أحمد توفيق المدني أراد من خلال هذا إبراز الحضور السياسي والحضاري للمغرب الأوسط منذ بداية تشكل الدويلات المستقلة في العالم الاسلامي .

(ولقد اعتنى الرستميون بنقل الكتب التي تظهر في المشرق ، منبع الحركة الفكرية واهتموا بالعلوم الدينية، فكانوا أئمة في العلم ، فدرسوا الحديث والفقه وعلم الكلام والأشعار والعلوم والرياضيات ، فعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة وحاكمها الأول كان عالما ومفسرا وله في التفسير تآليف وابنه عبد الوهاب برز في العلوم الدينية وأفلح ، أحد أبرز الأمراء للدولة الرستمية نجده قد نبغ في الشعر)[1] وغيرهم كثير، ويذكر الأستاذ أحمد توفيق المدني أنه كانت بتيهارت مكتبة تدعى: المعصومة (أحرق الشيعة كل كتبها عند دخولهم لتيهارت وإسقاطهم للدولة الرستمية)[2] ، إن اختفاء واندثار مكتبة المعصومة تبقى مبهمة لحد الساعة ، فالمصادر الاباضية تؤكد تدميرها وحرقها من طرف أبي عبد الله الشيعي لما دخل تيهارت بعد أن انتقى منها ما يعجبه من كتب الصنائع والحساب والسياسة ، وأضرم النار في الباقي الذي يمثل جوهر المكتبة والمتمثل في كتب الفقه والفكر الاباضي (ولقد شكك الدكتور موسى لقبال في حرق أبي عبد الله الشيعي لمكتبة المعصومة)[3]هل احرقت بالفعل أم نقلت عيونها إلى سدراته في جوار بني وارجلان، والشك في الحرق بدعوى أن أبي عبد الله الشيعي رجل فكر وأنه كان معلما مستنيرا ، كذلك نرى أنه بالنظر إلى الكم الهائل من كنوز مكتبة المعصومة الذي نقل إلى واجلان وبني ميزاب فإن عملية الحرق تبقى محل نظر ، أو أن الحرق قد طال فقط الكتب التي بقيت بتيهارت وعجز الفارون إلى واحات الجنوب عن حملها معهم ، لكنها في كل الأحوال تظل حجة غير كافية لنفي حرق مكتبة المعصومة

[1] ينظر إلى : بحاز ابراهيم بكير ، الدولة الرستمية(160 هـ / 296م) دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية

[2] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص21

[3] انظر: موسى لقبال ، مقال حول حرق مكتبة المعصومة من طرف الفاطميين ' مجلة الأصالة

من طرف الشيعة العبيديين ، بدليل أنهم قتلوا كل أفراد عائلة الرستميين إلا من استطاع الهروب إلى وارجلان ، فكيف بكتبهم التي تحمل فكرهم وتراثهم؟ .

و(لقد كانت العربية هي لسان الدولة الرسمي بها تكتب المراسلات والدواوين)[1] و كان حكام بني رستم علماء فاقتدى البربر بهم، فأقبل الناس على العلوم يتعلمونها وينهلون من الكتب ، كما عاشوا مع العربية عيشة العامة مع الفصحى اليوم ،(لقد أصبحت تيهارت زمن الرستميين معدن العلم والأدب ومحطة رحاله من الطلبة حتى أصبحت تفضل على قرطبة ودمشق)[2] ، كذلك نجد علماء الإباضية، كما ذكرنا قد نبغ منهم الكثير وأشهرهم أبو عثمان سعد بن أبي يونس والقاضي محمد ابن عبد الله ابن الشيخ وأحمد ابن الفتح ابن الخزار.

كما لا ننسى ذكر عظماء ملوك الرستميين الذين جمعوا بين الملك والعلم، ومنهم: مؤلف كتاب (نفوسة الجبل) الذي يعتبر عمدة في المذهب الاباضي وهو الإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن ثم ابنه الإمام أفلح ابن عبد الوهاب واشتهر من علماء غير الاباضية في ذلك العصر قاسم ابن عبد الرحمن وزكريا بن بكر كما نجد الذهب العلامة أحمد بن علي ابن أحمد البغاتي ومنهم: بلقاسم ابن علي ابن خويلد البسكري وكان من علماء العربية متبحرا في النحو كما اشتهر في طبنة عاصمة الزاب أشهر المحدثين أمثال (علي بن منصور وأبي محمد القاسم)[3] وغيرهم .

2-عهد الإدارة الأغلبية

أما في عهد الإدارة الأغلبية في قطر الجزائر فيذكر أن مدينة جميلة ينسب إليها علماء كثيرون اشتهروا في الأدب مثل أبو عبد الله ابن قاضي أورد له قطعا الشريف الغرناطي في شرح مقصورة حازم ومن روائع الشعر قوله:

[1] انظر عثمان السعدي ، عروبة الجزائر عبر التاريخ

[2] مبارك الميلي ، كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ص 77 . 78

[3] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 80

جاءت بعود تناغيه فيتبعها *** فانظر عجائب ما يأتي به الشجر

غنت على عوده الأطيار مفصحة *** رطبا فلما ذوا غنى بها البشر

فلا يزال عليه أو به طربا *** يهيجه الأعجمان الطير والوتر[1]

ومن أهم مشاهير الجزائر في عهد الأغالبة اسحاق اللمشوني أواسط القرن الثالث هجري، القرن التاسع ميلادي هو شيخ من أمراء بني الأغلب نسبة إلى لمشون قرية من قرى بسكرة كان عالما مؤرخا وصاحب معرفة بفن التاريخ ، كان يحمل عنه وعن أبيه العلم.

وكان جليس الإمام سحنون بالقيروان وأخذ عن علمه الكثير، قال أبو العرب قوس وسمعت بعض المشايخ ممن يروي أخبارا يحدث عن اسحاق ابن عبد الملك اللمشوني أنه قال:(لم يدخل افريقيا نبي قط و أول من دخلها بالإيمان بعض حواريي عيسى بن مريم عليه السلام، فأين زعم القائلين بوجود قصر النبي خالد بن سنان بالقطر الجزائري ؟ ، ودفنه حيث ضريح المنسوب إليه)[2] .

ومن علماء الجزائر الأغلبية محمد ابن حسين الطبني(ت 394 هـ/ 1004 م) ، هو أديب وشاعر نسبة الى طبنة عاصمة الزاب الجزائري ولد سنة (303 هـ) كان واسع العلم والتبحر في الأدب حتى قيل عن الرواية بشكوال أنه لم يصل الى الأندلس أشعر منه [3] .

3-عهد الفاطميين

كانت بلاد الجزائر تزاحم مملكة الأندلس من حيث العلوم والفنون والآداب ، فقد نشأ ونبغ في ذلك العهد أمثال دوشا ابن تميم الطبيب الفيلسوف اللغوي والجغرافيا العظيم، محمد ابن الوراق2 ، ومن علماء التاريخ أحمد ابن الجزار الذي أرخ لسقوط الدولة الاغلبية وقيام الدولة

[1] مبارك الميلي ، كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص 126

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج1 ، ص 279

[3] الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص 279

الفاطمية ، كما اشتهر بأبحاثه في علم النبات وعلم الحجارة ، ولما نشأت الأسرة الحمدونية بالمسيلة نشأت معها بتلك المدينة حضارة علمية أدبية ونبغ من أبناءها الكثير ، وأصبحت المسيلة وسطا من أرقى الأوساط الإفريقية ، وقد أمها ابن هانئ أيام جعفر بن علي فنال من عطاء أمير المسيلة ما نطق لسانه بهذه الأبيات يخاطبه بها :

وما الجود كان قبلك سابقا *** بل الجود أمر في زمانك حادث

تبسمت الأيام عنك ضواحك *** كما ابتسمت حر الرياش الدمائث

وسدت ثغور الملك بعد انثلامها *** وقد أظلمت تلك الخطوب الكوارث

فما زال في بحبوحة الملك زائدا *** ولا عاث في عريسه الليل عائث[1]

ووضع حواشي للتعريف بابن تميم وابن الوراق في مؤلفاته .

4-عهد بني حماد

ساهمت الجزائر الوسيطة في شتى العلوم والمعارف فقد تداول ملوك بني حماد الملك يوطدون الأمن وينشرون العلم، فمنهم الملك الناصر بن علناس أعظم ملوك عصره شأنا ، وأوفرهم قوة وأكثرهم تنشيطا للعلماء وقد سجل التاريخ عصره ضمن أجمل صفحات تاريخ التمدن الإسلامي وخلد اسمه شاعر العروبة الأكبر عبد الجبار ابن حمديس الصقلي في غرر من بدائع الشعر[2] ، ومن أمثال علماء بني حماد ، محمد ابن علي الصنهاجي صاحب كتاب (نبذة المحتاجة في تاريخ صنهاجة) والمؤرخ مطرف ابن علي ، واللغوي والنحوي، ابن العفراء ، والمجتهد ابن الرماح[3] ، أما بجاية فقد شهدت في العهد الحمادي ، نهضة علمية وفكرية هائلة ، وقامت بها مدارس ومعاهد علمية ذات شهرة، ومساجد وزوايا صوفية

[1] توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 81

[2] نفسه ، ص 58

[3] توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 60

عريقة ، ونبغ بها علماء وفقهاء ذو الرأي في الشريعة الإسلامية وحكماء في الفلسفة وعلم التوحيد ، ورياضيون مبتكرون وطلاب علم وقد ذكر ياقوت الحموي أنه حتى العوام في بجاية كانوا يحفظون صحيح البخاري والمدونة والموطأ على ظهر قلب ، ومن أبرز الأعلام الذين يمكن الإشارة اليهم في هذا الميدان ، الفقيه ابن سلمة البجائي (ت315 هـ 931 م) والرحالة المقري والفقيه والفيلسوف محمد ابن علي الرمامة (478 هـ/ 567 هـ) والعلامة يونس الوارجلاني (500 هـ . 570 هـ)[1] .

والأديب المؤرخ محمد ابن حماد الصنهاجي (628 هـ / 1230 م) ، والعلامة أحمد الغبريني ابن الحسين(ت 644 هـ /704 م) والصوفي أبي مدين شعيب ابن الحسين (ت 595 هـ)[2].

إن هذا الحشد الهائل من العلماء والمفكرين في هذا المركز الحضاري والثقافي البيجائي أثر على مساهمة الجزائر الوسيطة حضاريا في مختلف مجالات العلوم والفكر(سواء في الجزائر أو في كل أصقاع المغرب وبلدان المشرق الإسلامي)[3]، وبالنظر إلى العلوم التي زخرت بها الجزائر في العهد الوسيط خلال الحكم الحمادي ، نجد أن علوم الدين كانت لها المنزلة الأولى ويليها علوم العربية ، وكانت اللغة العربية هي لسان الدولة تكتب بها المراسلات وتدون بها العلوم، وعندما جاء الهلاليون بلغتهم القريبة منها سهلوا عليهم وعلى العامة تعلم الدين الاسلامي وأحكامه وآدابه ، ولم يبق كبير الحاجة إلى اللغة البربرية في المغرب الأوسط في التدريس أو التأليف وهذا ما دعا البربر إلى الاستعراب فصاروا يتشرفون بإجادة النطق بها[4] ، إن (جزائر) بني حماد قد عرفت ازدهرا كبيرا في العلوم والفكر و الثقافة ، و كان هذا بفعل تشجيع الملوك لها حيث أسسوا المدارس العلمية والزوايا ، التي

[1] يحي بو عزيز ، المختصر في تاريخ الجزائر ، ص 160

[2] نفسه ، 160

[3] نفسه ، ص ص 161 . 162 .

[4] مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ص ص 256 . 257 .

بدورها أنجبت شعراء وأدباء وفقهاء وأطباء ، فكان أفضل شعراءها: عبد الكريم التنهيلي وابن رشيق وابن الفضل النحوي ، أما في النحو فنذكر كل من الشيوخ ابن أبي سهل الخشني والحسن بن علي التهارتي وغيره[1].

5-عهد الموحدين

لأول مرة منذ الفتح الإسلامي ، وقبل ظهور الدويلات المستقلة ، نجد بلاد المغرب الإسلامي تتحد فكريا و مذهبيا تحت زعامة واحدة وتحت راية واحدة بخليفة واحد في عهد الموحدين ، الذي وطد أركان الدولة الموحدية و التي استمرت من سنة(515 ه إلى 668 ه) فكان عبد المؤمن وخلفائه موحدين في كل شأن من شؤون الحياة ، موحدين في الدين يعبدون الله ولا يشركون به شيئا ، متوحدون في السياسة ، يجمعون تحت سلطانهم كامل الشمال الإفريقي موحدين في الاجتماع ، (لقد أمر عبد المؤمن الناس بإلغاء كل كتب الفروع و الرجوع إلى كتب الأصول ، إلى كتاب الله وسنة رسوله التي جمعها المهدي بن تومرت في مدونته التي أسماها . أعز ما يطلب . ، يأخذون منها أحكام الدين مباشرة)[2] .

فكيف كانت الحياة العلمية و الأدبية والفكرية بالمغرب الأوسط في عهد الموحدين؟ و هل كان للمغرب الأوسط إسهامات فيها؟ .

تبنى الموحدون العقيدة الأشعرية في الاعتقاد، وبقي المذهب المالكي محافظا على مكانته في بلاد المغرب ، وانتشرت كتب الإحياء لأبي حامد الغزالي والذين كان قد أحرق من قبل من طرف المرابطين، وبالنسبة للعلوم فقد اهتم الموحدون بالتاريخ ومن أشهر المؤرخين في عهد الدولة الموحدية البيدق أبو بكر الصنهاجي، الذي أدرك الدولتين المرابطية و

[1] عمارة عمورة ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ص ص 62 . 63

[2] أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 28 .

الموحدية و رافق محمد بن تومرت أثناء عودته من المشرق وألف كتاب وصف فيه الرحلة ، و ضمته بعض أخبار المهدي بن تومرت و عبد المؤمن ، توفي سنة 550 ه [1].

6- عهد الزيانيين

كان لملوك بني زيان رغبة في الاهتمام بالعلم وتقريب العلماء ، وتوقيرهم ، رغم انشغالهم بالحروب الداخلية والاضطراب التي تسود البلاد أحيانا، كانوا يحبون العلم ويقربون العلماء ويكرمون وفادة الأدباء ، وكثيرا منهم كان ينظم الشعر الجيد ويضرب في الآداب بسهم صائب ، ومنهم من كان ينفق فيسرف في الإكرام والعطاء والهبات لمن يستحق ومن لا يستحق حتى اختلت خزينة الدولة بسبب سخائهم وكرمهم كسعيد ابن أبي حمو سنة (814 ه) وكمثال على اسرافهم نجد المهندس ابن الفحام واضع (المنجانة) في تلمسان وهي ساعة ناطقة ،(قد نال عنها جائزة سنوية من ملوك تلمسان قدرها 1000 دينار ذهبي)[2].

ومن أدباء وشعراء الجزائر في العهد الزياني نجد أديب الجزائر الأكبر وشاعرها العظيم المقري التلمساني صاحب ديوان (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)[3].

ومن يرجع إلى تاريخ يحي ابن خلدون وهو(بغية الرواد) يجد روائعه ومدهشات من التقدم العلمي والفني والصناعي لا يكاد يتصوره العقل، كما نذكر أيضا من اشتهر في هذه الدولة من أعلام الأدب ورجال العلم وكبار الشعراء فقد ألفت فيهم عدة كتب أهمها كتاب (البستان) لابن مريم وكتاب (الدرر والعقيان) للتنسي ، وامتازت الدولة الزيانية ببناء المدارس الفسيحة التي تعتبر من آيات الفن المعماري العربي وأجرت على طلبتها وشيوخها الأرزاق،

[1] راجع كتابه، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق ، ار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ط 1971 .

[2] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 31 .

[3] أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، ص 67 .

حيث لا يهتم معلم ولا متعلم بالمسكن أو الملبس أو المطعم إلا أن يبرز إلى ميدان الحياة العامة ، عاملا عالما.

وهنا نسرد بعض الأسماء فنجد المفسر الكبير (ابن مرزوق والعالمين المؤلفين أحمد بن يحيى الونش ريسي ومحمد السنوسي وصاحب (الجواهر الحسان) عبد الرحمن الثعالبي وصاحب (البدر المنير) محمد المغيلي وطائفة تعد بالألاف من الكتاب والشعراء والعلماء والمؤلفين كالقلصادي وابن قنفذ ومحمد ابن الحباك في الفلك)[1]، وغيرهم كثير.

لذا فقد زاحمت تلمسان الزيانية كما زاحمت من قبلها بجاية ، القاهرة وبغداد وقرطبة واجتمع فيها من رجال الدين والعلم والأدب ما لم يجتمع مثله أبدا في قطر الجزائر وقد ساعد على ذلك جموع الأندلسيين المهاجرين الذين فروا من الأندلس وكانوا أهل علم وجاه وسلطان وكان منهم من يجيد الصنائع والحرف والمهارات المختلفة، فجاءت وفود العلم والشعر من كل جهات العالم العربي ، قاصدة الجزائر وحاضرة الدولة الزيانية ، تلمسان خاصة.

المطلب الثاني :الإسهامات الاقتصادية والعمرانية للجزائر خلال العصر الوسيط

1- للدولة الرستمية

يذكر احمد توفيق المدني في كتابه كتاب الجزائر ان الدولة الرستميه التي استطاعت ان تسيطر على كل ربوع الجزائر ما عدا ناحية الزاب التي كانت تحت راية الاغالبة وناحية تلمسان التي كانت تحت راية الادارسة ووطدت على نشر البر والتقوى واستطعت ان تؤمن للبلاد مجال اقتصادي زاهر حيث ابرز العنصر البربري المسلم في ازدهار الزراعة وعملوا على خدمه الارض فأصبحت المملكة تيهرت مملكة غناء واشار مؤلفنا من خلال ما قاله في هذا الكتاب اصبح فيها من كل فاكهه زوجان وان الزراعة بلغت الازدهار والتطور في هذه الدولة وقد تغنى المؤرخون المسلمون بما كانت عليه الدولة الرستمية في ذلك في تلك الفترة كذلك عرفت الصناعة نشاطا واسعا حيث بلغت شانا في الاتقان ذكر ايضا ان التجارة

[1] أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر، ص 66 .

وسعت نطاقها[1] مع كل البلاد لكن ومعاطف صفحنا لما ذكره في المجال الاقتصادي وما كتبه عن هذا المجال لو وضع ماء الف نجده شيئا قليل وقليل جدا لما الفته المصادر التي عاشت هذه الفترة حيث نجد ابو القاسم بن حوقل قد فصل في انواع المحاصيل الزراعية التي عرفتها المنطقة حين قال فلقد كان الشعير الذي يحصل يحصد من مدينه تيهرت الرستميه له لذه لا توجد في خبز من اخباز الارض[2] كذلك من بين المحاصيل الزراعية التي لم يدرجها أحمد توفيق المدني العنب والتين والرمان والتوت والبندق والليمون والبازلاء[3] ولعل الأمر الذي غاب عن مؤلفنا في كتابته هو الاهتمام البالغ الذي اهتم به سكان تيهارت وهي تربية المواشي وذلك لوفرة الأعشاب والحشائش نجد من بين الحيوانات التي عرفتها المنطقة الاغنام حيث يذكرها عز الدين موسى في أن الدولة الرستمية عرفت نوعان من الرعي الأول ذات الطابع المختلط بين الزراعة والرعي والطابع الثاني شبه الصحراوي[4] أما بالنسبة إلى الجانب الصناعي الذي ذكره لم يتم التفصيل فيه من طرف المؤلف ونجد البكري الذي اشار الى المقومات التي جعلت من الصناعة في الدولة الرستمية تزدهر وهذا راجع إلى ما تمتلكه منطقة المغرب الاوسط من معادن خاصة معدن الملح الذي اشار اليه الرحالة ابن بطوطه في قوله :"كان بها جبل من الملح كانه صخر جليل"[5] وهذا ما جعل مدينه تهرت من أعظم مدن المغرب ازدهارا ورفاهية فعبدت الطرق التجارية[6] ، فكانت المدينة بمثابة حلقة وصل بين الساحل والظهيرة الصحراوية[7] وكانت العلاقات التجارية يسودها جو الأمن والأخوة خاصة مع دولة السودان وهذا ما أدى إلى النمو الاقتصادي للدولة الرستمية التي قال عنها

[11] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 21 .
[2] ابن حوقل ، صورة الأرض ، مطبعة ابريل ، لندن ، ط 2 ، 1938 ، ص86.
[3] القلقشندي ، الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، مطبعة الأميرية لنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1915 ، ج 5 ، ص 111.
[4] عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6 هـ ، دار الشروق بيروت لبنان ، ط 1، 1983 ، ص 198.
[5] البكري أبو عبيدة ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د ط) ،(د ت)، ج 1 ،ص 714.
[6] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 21.
[7] عبد الحميد حمودة ، ص 337.

أحمد توفيق المدني أنه يحق للجزائر أن ترفع راسها مفخرة بهذه الدولة الوطنية التي قامت وشهدت عليها البلاد الاسلامية قاطبة لم يقم مثلها بعد دولة الراشدين.[1]

2- دولة بني حماد

لقد شهد القرن السابع للهجرة ازدهارا ورقيا في جميع حواضر المغرب الاوسط ولا سيما بجاية التي تعد من اهم الحواضر التي عرفتها منطقه المغرب الاوسط حتى اطلق عليها بمكة في العهد الحمادي ولعل ذلك يعود الاهتمام ودور الحكام الذين سهروا على تطور وازدهارها كذلك للطبيعة التي تمتلكها المنطقة[2] من مقومات طبيعية ولعل ذلك ما اثر ايجابا على ازدهار الحياة الاقتصادية بها وهذا ما اشار اليه أحمد توفيق المدني في كتاباته لقوله:<<عظم الملك واتسعت واستقرت ادارته على اسس متينه فترك ملوك بني حماد القلعة واختطوا لأنفسهم عاصمه جديدة هي مدينة بجاية فاخذوا في تعميرها والبساتين والمنتزهات>>،ونقلوا اليها عاصمة المملكة سنه 538 هـ [3] وذكر أيضا واستطاع الحماديون تأسيس (دولة جزائرية) بأتم معنى الكلمة شملت تقريبا كل بلاد المغرب الأوسط بحدوده الحاضرة ونالت فيها الصناعة والفلاحة رقيا زاهرا الأمر الذي جعل الدولة يسودها الأمن والاستقرار لما شهدته من تطور في المجال الاقتصادي لكن المدني وانعكس لنا من خلال ما تناوله في الواقع الاقتصادي لدوله بني حماد في المغرب الاوسط الا انه لم يفسر بالجوانب الاقتصادية واهم المحاصيل الزراعية التي عرفتها المنطقة كذلك بالنسبة للصناعة التي لقيت ازدهارا ورقيا فلو سلط الضوء على ما كتبه المؤلف في هذه الفترة مقارنه بما ذكرته المصادر التاريخية التي عاصرت هذه الفترة نجدها قد فسرت في تناولها لهذا المجال فيذكر الإدريسي عن المنطقة لقوله : « بأنها بلاد زرع وخصب وإن أنتجت أغنت وإذا قلت كفت أهلها وأشبعتهم الدهر» كما أورد أن للمنطقة بوادي ومزارع خاصة مزارع الشعير وكانت من

[1] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر، ص 21
[2] عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، صفحات من تاريخ الجزائر ، دار الشروق ، الجزائر ، ط 1، 1980 ، ص 250.
[3] أحمد توفيق المدني ، هذه هيا الجزائر ، ص 58.

أهم محاصيلها الزراعية: الفواكه وما عرفته من جودة وامتياز.[1] ولعل التطور الاقتصادي الذي عرفته دولة بني حماد يعود إلى الموقع الاستراتيجي خاصة حاضرة بجاية التي كانت معظم أراضيها أراضي سهلية صالحة للزراعة وارتفاع كمية التساقط فيها وارتبطت الصناعة ارتباطا كثيرا بالزراعة وهذا ما امتازت به المنطقة خاصة في الصناعات الصوفية والنسيجية[2] ولا يفوتنا هنا ما قدمه عبد الرحمن الجيلالي الذي استطاع ان يفصل في الحياة الاقتصادية للدولة واعتمد على المصادر على عكس طريقه احمد توفيق المدني في نقله فقد نقل لنا وفسر سعه نطاق الحركة الاقتصادية للجزائر والقوافل التي كانت تجوب بين أقطار الشمال الإفريقي وأرض السودان وما تحمله من انواع السلع والبضائع كما ان السفن كانت تجري بأنهار قسنطينة ووديانها وفي حوض البحر الأبيض المتوسط والمواصلات والتجارة وذكر ايضا ان الأثريون عثروا على الآثار المتمثلة في الأواني والقطع الخزفية مزخرفة الصنع ذات الصنع الصيني التي وجدت بالقلعة الحمادية وهذا ما يثبت على انها أنه كان هناك تبادل تجاري بين الجزائر والاقطار النائية عنها مثل الصين[3] ولقد اشار احمد توفيق المدني الى ان ايام الدولة الحمادية حدث بها أمران غيرا مجرى الحياة العامة للبلاد من بينهما نزوح الجماعات الكثيرة من المهاجرين الأندلسيين إلى البلاد الذين لقوا الرحب والسعة من طرف الدولة الحمادية هذا الأمر كان من بين العوامل التي ساعدت في ازدهار الحياة الاقتصادية للدولة وساعدوها على تنمية الثروة[4] ، فيذكر القلقشندي في هذا ويفصل بان السكان المغرب الأوسط استفادوا من الهجرة الأندلسية في تعلمهم خبرات في مجال الزراعة خاصة في تربية الحيوانات وخصوصا في تربية النحل وإنتاج العسل وتوفير الشمع الذي اشتهرت به بجاية وانتشر كثيرا في أسواقها كذلك خبرتهم في مجال الفلاحة واستخدام الطرق الحديثة في هذا المجال[5]

[1] الادريسي نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، مج 1 ، ص 261.
[2] اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، ص 227.
[3] عبد الرحمان الجلالي ، تاريخ الجزائر العام مطبعة العربية ، ط 1 ، الجزائر ، 1953 ، ص ص 391 -392.
[4] أحمد توفيق المدني ، هذه الجزائر ، ص 60.
[5] القلقشندي ، الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، 109.

دولة الموحدية

عرفت منطقة المغرب الأوسط في العهد الموحدي نشاطا بارزا في التطور الاقتصادي شامل لكل الميادين الزراعة والصناعة والتجارة هذه الدولة التي كان لها الأثر البارز في المنطقة على اعتبار خليفة مؤسسها المهدي بن تومرت، عبد المؤمن بن علي ذات أصول من المغرب الأوسط(جزائر) من مدينة ندرومة .

كان عصر الموحدين في جملته عصر رفاهية وأمن وسلام حسب ما ذكره احمد توفيق المدني واخذت البلاد تهضم الاعراب الهلاليين الذين لقوا اعتناء خاص من طرف الموحدين خصوصا من طرف عبد المؤمن بن علي الكومي واستغلهم في ازدهار الدولة فكانت للجزائر في أيام هذا العهد أيام راحه واطمئنان اقبل فيها الناس عن الاعمال الفلاحية والصناعة [1]حيث ذكر ايضا الجيلالي عن الانتعاش الاقتصادي الذي عاشته البلاد في هذا العصر انه كانت بالمدينة الواحدة من أنواع الحرف والصناعات ما يفوق الحصر كصناعة الصابون والصباغة والدبغ ومعامل لسبك الحديد والنحاس ومصانع للزجاج واذا نظرنا الى مخلفات الدولة من منشآت وآثار معمارية وجدناها شاملة لكل أنواع العمارة كالمساجد والمعاهد العلمية والمدارس والقصور" كقصر المشور" المنشأ بتلمسان سنه 540 للهجري وتجديد بلدة "تجاره "مسقط راس عبد المؤمن وبناء مسجد بندرومة وفي نواحي شلف الشرق من غليزان أسسوا مدينة البطحاء المعروفة أيضا باسم" السدرة" سنة 555 هـ ، وسور تلمسان الذي كان الشروع في انشائه سنه 566 هـ ،على يد موسى بن يوسف بن عبد المؤمن وتم الانتهاء منه سنه 581 للهجري[2] اما في المجال التجاري فكانت تصدر الى الدول الاوروبية التي تربطهم بها علاقات اقتصاديه من الحبوب والصوف والحرير والشمع والورق – الكاغد– واطلقت لهم حريه التجارة حيث عقدت الدولة الموحدية معاهدات تجاريه مع هذه الدول كفرنسا وايطاليا

[1] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص ص 27-28.
[2] عبد الرحمان الجلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 1 ، ص ص 25-26 .

كذلك شهدت الدولة زراعة أنواع الفواكه والأزهار المتفتحة اليافعة التي لا تتعدى نفعها البلاد[1].

3- دولة الزيانية

لقد اشار الاستاذ احمد توفيق المدني الى الاقتصاد الزياني في مؤلفاته تابعا للدولة الموحدية مفصلا إن مملكة بنو عبد الواد اعلنوا ولائهم[2] للموحدين فاستطاعت هذه الدولة ان تنمو بين تزاحم الحفصيين والموحدين فسجلت على صفحات التاريخ في بلادنا انشودة فخر ينطق بها الدهر وكانت صناعتها واقتصاداتها وتجارتها في تلك المصور مضربا للمثل كتب علي عنها الرحالة والمتسوحون من عرب وأعراب صحائفه جليلة ووقائع مدهشة على حد تعبير أحمد توفيق المدني وقال ايضا من يرجع الى تاريخ يحيى ابن خلدون وهو "بغية الرواد" يشهد روائع ومدهشات من التقدم العلمي والفن الصناعي لا يكاد يتصوره العقل في قوله مثنيا الصناعة في تلمسان« غالبا تكسيهم الفلاحة وحوك الصوفي يتغايبون في عمل أثوابه الرقاق فتلقى الكساء والبرنوس عندهم من ثمان اوقي والإحرام من خمس وبذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا»[3] وذكر ايضا ابن حوقل مواضع مختلفة من اراضي الدولة الزيانية ارتبط اسمها بتربية ماشيه واشتهرت الدولة بهذه بهذا المجال فيصف تيهارت «وهن احد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ويقصر عندهم العسل والسمن [4]نجد أيضا من بين المعاصرين الذين ألفوا عن مدينة تلمسان وعن منجزاتها الاقتصادية عمار عموره

أما الحياة الاقتصادية وعمها الرخاء في معظم فترات الدولة الزيانيه فقد اعتنى ملوكها بالصناعات المختلفة من نسيج وورق ومعادن ونحاس وأعمال حرفية مثل الفخار و نحت الرخام ونقش الخشب والمجوهرات كما اهتموا بالفلاحة وتربية المواشي وادى هذا العمل الى

[1] نفسة ، ص 387.
[2] احمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص 28.
[3] احمد توفيق المدني ،هذه هيا الجزائر ، ص ص 65 66.
[4] ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، تح ، ألفريد ، الغوثي أبو علي ، مطبعة فونطانة ، الجزائر ، 1993، ص22.

ازدهار الحياة التجارية في مملكتهم فكانوا يتاجرون عن طريق البر والبحر مع دول افريقيا السوداء مثل السودان و الأندلس وأوروبا والمشرق العربي يصدرون يستوردون مكانة الصناعة تدخل إلى تلمسان بحر عن طريق ميناء هنين الموجود بالقرب من بني صاف[1]

كذلك عرفت الدولة الزيانية تطور عمراني واسع فقد امتازت هذه الدولة ببناء المدارس الفسيحة التي تعتبر آية في الفن المعماري العربي[2] وطور في عمران المدينة والتوسع فيها وشيدوا المساجد والمدارس والمنازل والقصور والأبراج والحصون السور العالية وزينوها البساتين والمتنزهات متأثرين بالفن الأندلسي خاصة بعد هجرة الأندلسيين من إسبانيا جراء تفاقم الخطر المسيحي واستقرارهم بتلمسان كما اعتنى ملوكها ببناء المرافق الاجتماعية كالمستشفيات والحمامات والفنادق والطرق فكان يوجد في تلمسان حوالي ست مدارس و60 مسجدا والعديد من الزوايا فشيد مئذنة الجامع الأعظم الذي بناه المرابطون ومئذنة جامع أكادير والمدرسة التابعة لضريح أبي مدين بن شعيب ولا زالت إلى يومنا هذا المباني تشهد على عظمة هذه الدولة كما وسعوا في تعمير تلمسان وأسسوا بها المدرسة التاشفينية وشيدت القصور التي لا زالت اثارها إلى يومنا هذا و مسجد سيدي الحلوي ، يقول ابن خلدون في ذكر الأمراء الزيانيين ووصف تلمسان ما يلي «فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين واجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل اليها الناس من القاسية ونفقت بها أسواق العلوم وصنائع».

لكن بعد الدراسة وتحليل لما كتبه احمد توفيق المدني عن الجزائر الوسيطية والتي لخصت في كتابين فقط من مؤلفاته وهما كتاب "هذه هي الجزائر"، و" كتاب الجزائر" هذا الاخير الذي الفه صاحبه بهدف سياسي وطني ولا يمكن تصنيفه لغير ذلك ولا نه حسب ما قال ابو القاسم سعد الله لم يكن تاريخيا حين صدر فقد كان شاملا لمواضيع معاصره مثل نظام الاداري والقضائي ومحاكم الحالة الاقتصادية والاجتماعية ابرز المدن وعدد سكانها والحياه

[1] عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، دار الريحانة ، ط 1 ، 2008، ص 85.
[2] احمد توفيق المدني ،هذه هيا الجزائر ، ص 66.

التعليمية ويمكن تحديد الجزء التاريخي فيه واقتصاره على ذكر الدول الماضية ومعاهدها وحضارتها وابرز القبائل التي استوطنت الجزائر[1] من البربر والعرب وان قدم المدني معلومات حول ما عاشته الجزائر في العصر الوسيط وتسلسل الزمن لكيانات التي عرفتها الا انه لم يقدم لبعض الدول الدراس الشاملة واكتفى بدراسة سياسية فقط كدولة الاغالبة التي تأسست حيثما ذكرها المدني سنه 184 هجري واستمرت الى 322 هجري حيثما ذكرها حيث اشار المدني الى النشاط الاقتصادي لهاته الدولة اشارات خفيفة جدا في قوله «حيث جلب الفرس الذين سحبوا الجند العربي بدائع صناعاتهم فأخذها البربر واقتنوها ومن ذلك صناعه الزرابي البديعة واصبحت البلاد الزاب روضه غناء تعمل بها الايادي البربرية والعربية فكانت الحضارة الاسلامية في هذه المنطقة اثناء العصر الاغلبي من ازهر الحضارات الاسلامية ببلاد الجزائر[2] هذه المقولة نجد عبد الرحمن الجيلالي فسرها وفصل فيها في كتابه " تاريخ الجزائر العام "وذكر كيف استغلت الدولة خلاصه حضارات من قبلها التي عرفتها الجزائر مثل الدولة الفينيقية والرومان فإنها انتفعت بما احدثه هؤلاء من سبل وجهازات للري واستفادت كذلك بما جاء به الاعاجم من صناعه النسيج والطرز وبما خلفه الكنعانيون من اساليب التجارة في البر والبحر والزراعة وغيرها من صناعة البناء فأحدثت المساجد والاسوار والقصور والمنابر ومهدت الطرق وعبدت السبل وأسست المدن مثل العباسية بالجزائر قرب تيهرت 228 هجري 841 ميلادي وكانت صناعات مثل الحدادة والنجارة والنقش والحياكة منتشرة في انحاء الدولة حيث كانوا يستخرجون من المعادن والمناجم كمناجم بونة الحديد والرصاص والفضة والكحل ومن مرسى الخرز قال انواع اللؤلؤ والمرجان وهذا ما جعل الحركة التجارية تنشط في الموانئ بحكم ان الدولة متصلة بـ الموانئ الأوروبية[3] نجد ايضا الدولة المرابطية التي لم تبرز ولم يذكرها أحمد توفيق المدني من ضمن الكيانات التي عرفتها منطقه المغرب الأوسط ولم يشر اليها بتاتا ولعل السبب يكون

[1] كوتي مسعود ، تاريخ الجائر المعاصر وقائع و رؤى ، (د ط) ، دار هوما ، (د ت)، ص 213.
[2] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص ص 22 -23 .
[3] عبد الرحمان الجلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص ص 227 -228 .

أما الدولة لم تعمر كثيرا في منطقة المغرب الأوسط ولم يكن فيها أثر كبير من المنجزات التي حققتها في المنطقة وهي منطقة المغرب الأوسط وباعتبار أن الدولة كانت امتدادا لها بحيث يعود تأسيسها الى المغرب الاقصى وعاصمتها مراكش لكن لو عدنا الى المعاصرين الجزائريين نجد انهم ادراجها ضمن مؤلفات حيث نجد عبد الرحمن الجيلالي ذكر أهم إنجازات هذه الدولة في الجزائر مسجد تلمسان الذي أنشأه أمير المرابطين علي بن يوسف في جماد الثاني سنة 530 هجري أبريل 1152 ميلادي كذلك جامع ندرومة وما كان من ابتداء تخطيط مدينة مستغانم حيث ابتناء ابتنى فيها يوسف مركزه الحصين المشهور بمثنى غانم وهو المدعو ببرج الأمجاد[1] المنشأة حول مدينة مستغانم، كما ان مدينة هنين بتلمسان هي من منشآت هذا العصر كذلك ذكر البكري وقال إنها كانت مزدهرة الحضارة وفيها أسواق ودكاكين ذات تجاره ناشطة[2].

[1] عبد الرحمان الجلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ص 410.
[2] عمار عمورة ، موجز تاريخ الجزائر ، ص 55.

الخاتمة

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع نصل إلى ما يلي :

أحمد توفيق المدني هو مؤرخ جزائري معروف ورائد من رواد التاريخ الذين عرف عنهم حب الروح الوطنية وحب الجزائر ايضا من الرواد الأوائل الذين اسرعوا في حركة التأليف ليزودوا المكاتب الوطنية خاصة والمكاتب العربية بمؤلفات لا يمكن الاستغناء عنها في عملية البحث التاريخي حول الجزائر عبر العصور سواء القديم او الوسيط او الحديث والمعاصر الذي اعطاه الجانب الاكبر حيث عمل الرجل على محاربة الكتابات التاريخية الاستعمارية لتصحيح ما كتبه عن الامة الجزائرية هذا التنوع الذي ادرجه مؤلفنا ضمن مؤلفاته جعله من ألمع الكتاب والأدباء والمفكرين والسياسيين والمتميزين في الجزائر والعالم العربي ولعل ما ميز الشيخ أحمد توفيق المدني انه من اهم المؤرخين المعاصرين لبلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط نظرا لما تحتويه كتاباته من تحليل وعمق ونظرة جديدة تضاف إلى ما أدرجه المؤرخون القدامى في كتاباتهم المصدرية ذلك أن القارئ للتاريخ حاليا يجد صعوبة في الاطلاع على أحداث التاريخ الوسيط وفهم مجرياته فكان لزما أن يجد في كتابات المعاصرين ما قد يغنيه عن البحث في المصادر الوسيط. حيث تجلت مساهماته في دراسة تاريخ الجزائر في العصر الوسيط . و يعتبر بحثه حول هذه الفترة مهمًا لفهم تطور الجزائر وتأثيراتها الثقافية والسياسية والاجتماعية .يتناول المدني أيضًا تأثير التجارة والتواصل الثقافي عبر البحر الأبيض المتوسط في هذه الفترة. و يناقش تدفق الأفكار والتقنيات والمنتجات بين الجزائر والبلدان المتوسطية الأخرى، وكيف تسهم هذه العلاقات في تشكيل الثقافة الجزائرية .بالإضافة إلى ذلك، يستعرض المدني الشخصيات الهامة في هذه الفترة ومساهماتهم في التطور الثقافي والفكري للجزائر. و يذكر العلماء والفلاسفة والشعراء والمؤرخين الجزائريين الذين ساهموا في تطور الحضارة الجزائرية خلال العصور الوسطى .و بشكل عام، تعتبر الإسهامات التي قدمها أحمد توفيق المدني حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط مرجعًا هامًا للباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ الجزائري. و يقدم نظرة شاملة وعميقة على تطور الجزائر في هذه الفترة المهمة، ويسلط الضوء على التأثيرات الثقافية والاجتماعية التي شكلت هوية الجزائر المدنية والتطور السياسي والاقتصادي. ويقدم في بحثه تحليلًا شاملاً للأحداث والتحولات التي شهدتها

الجزائر في هذه الفترة، ويعكس الجهود البحثية والدراسات المعمقة التي قام بها المدني في هذا المجال. بالإضافة إلى ذلك، شهدت الجزائر في هذه الفترة ظهور العديد من الشخصيات الهامة والثقافية، مما أثر في تطورها الثقافي. على سبيل المثال، ظهر في هذا الوقت الكثير من العلماء والفلاسفة والشعراء والمؤرخين الجزائريين الذين أثروا في الحضارة العربية والإسلامية بمساهماتهم الفكرية والثقافية.

باختصار يُعد بحث أحمد توفيق المدني حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط مصدرًا قيمًا لفهم التاريخ الجزائري وتأثيراته على تطور البلاد. و يوفر نظرة شاملة ومتوازنة للتحولات التاريخية والثقافية والسياسية التي شهدتها الجزائر في هذه الفترة، ويساهم في إثراء المعرفة حول تاريخ الجزائر وتراثها الثقافي .كما كانت موقعًا استراتيجيًا ..وهذا ما يجعلنا نستخلص إن الجزائر في العصر الوسيط كانت تمتلك تاريخًا غنيا ومتنوعا هذا التاريخ الغني يعكس جذورها العريقة ويسهم في هويتها المتعددة الأبعاد في الوقت الحاضر.

الملاحق

الملحق 01

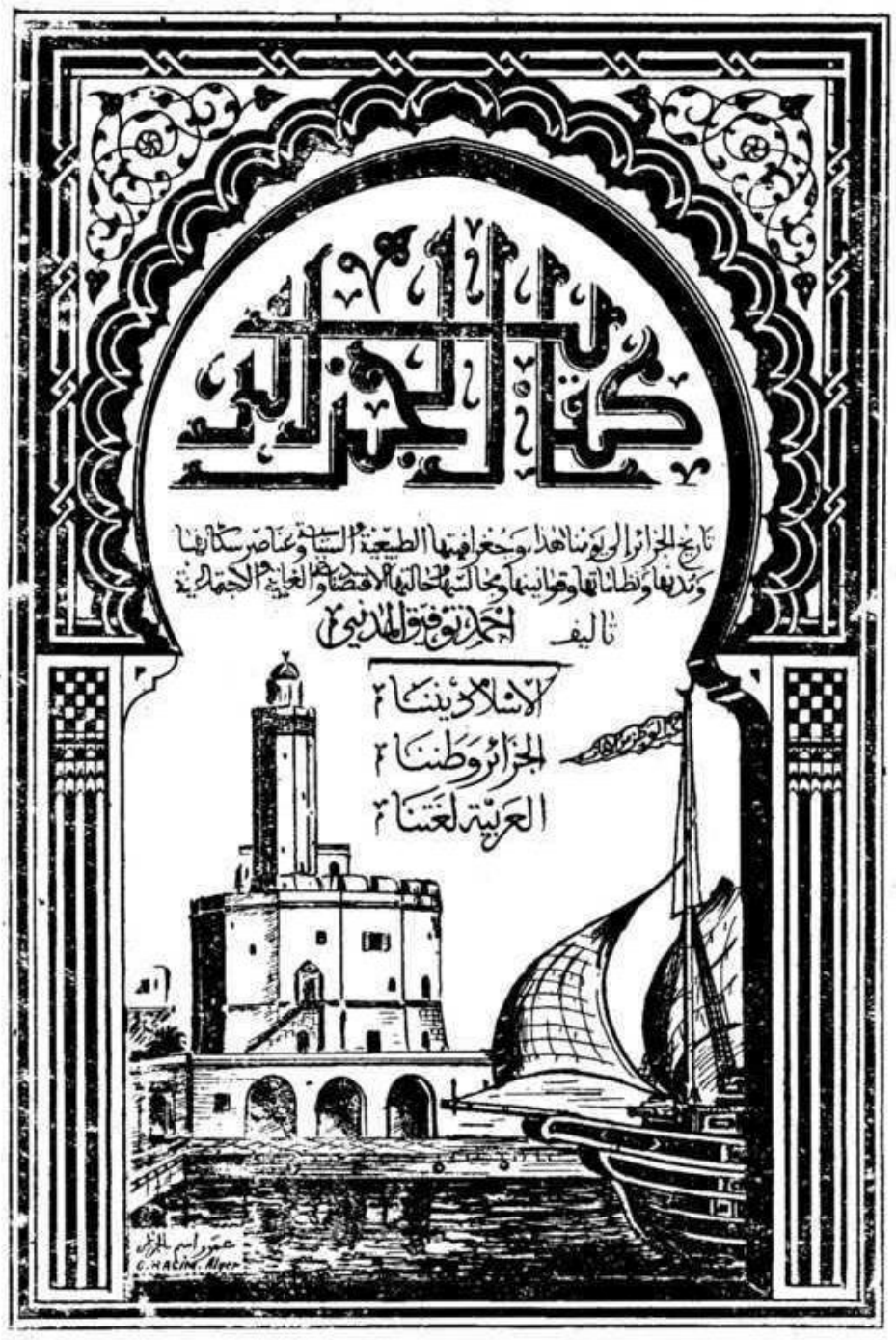

المصدر: كتاب الجزائر

الملحق 02

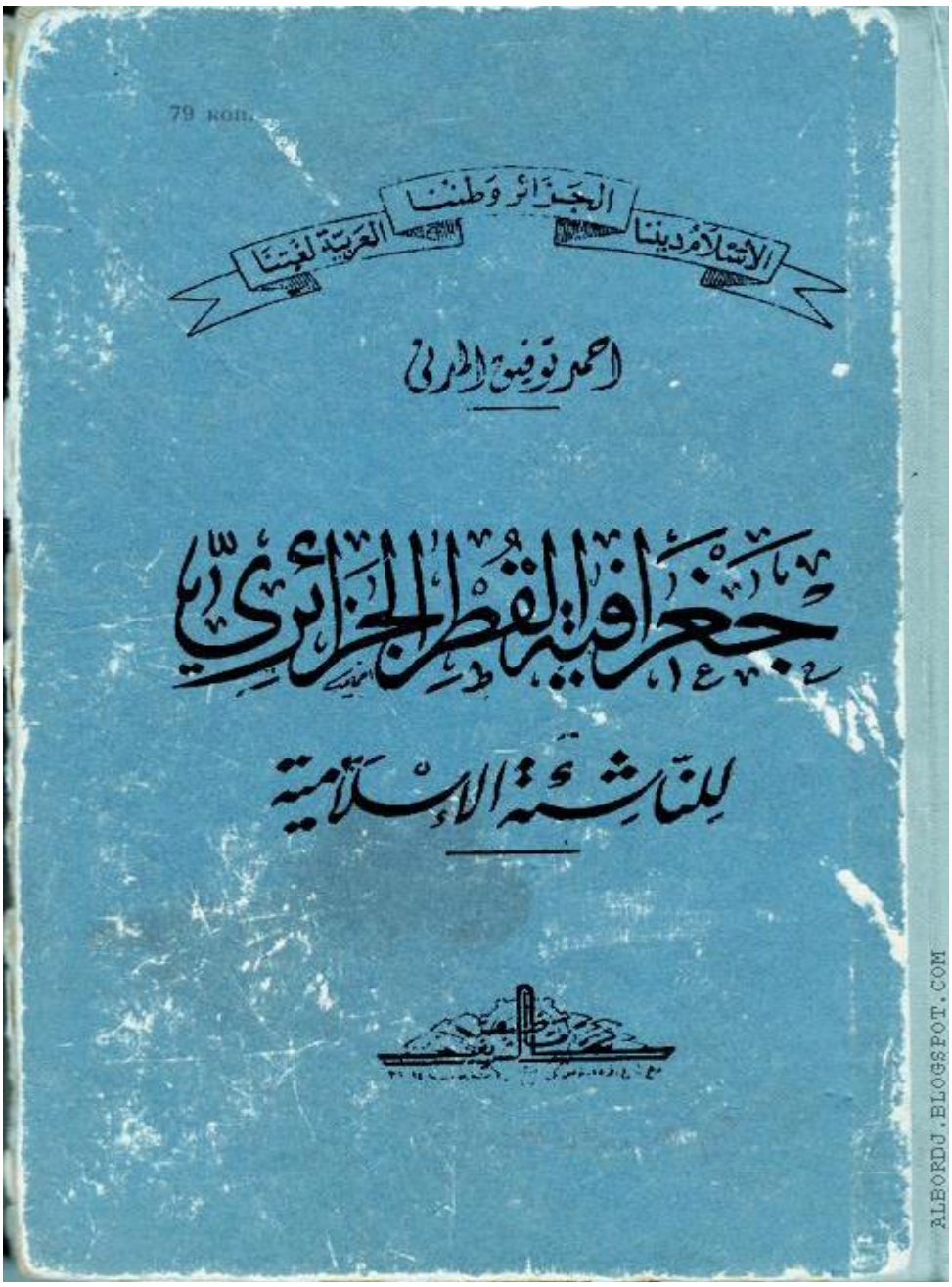

المصدر: جغرافية القطر الجزائري

الملحق :03

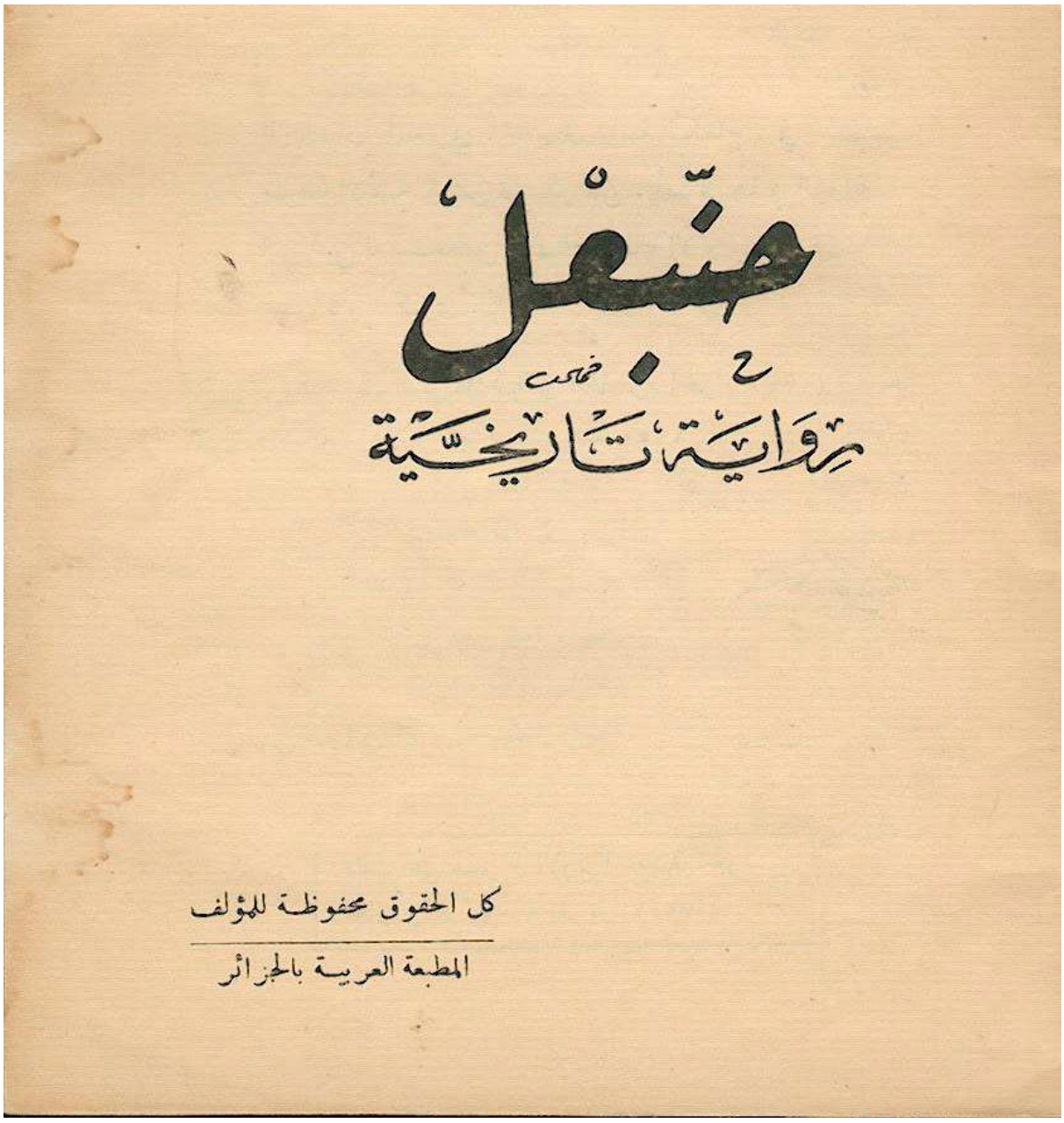

المصدر: روية حنبعل

الملحق 04

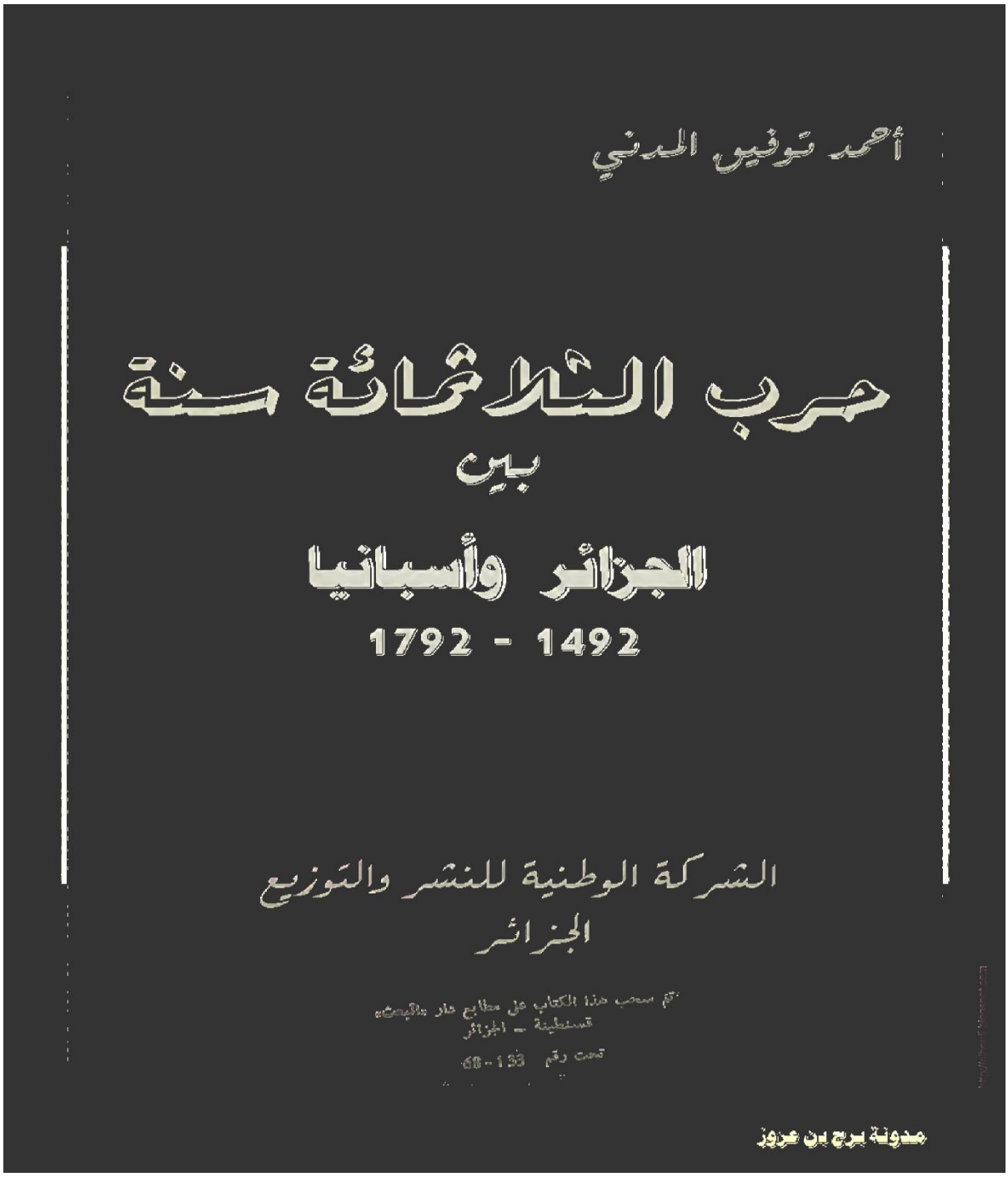

المصدر: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا

الملحق 05

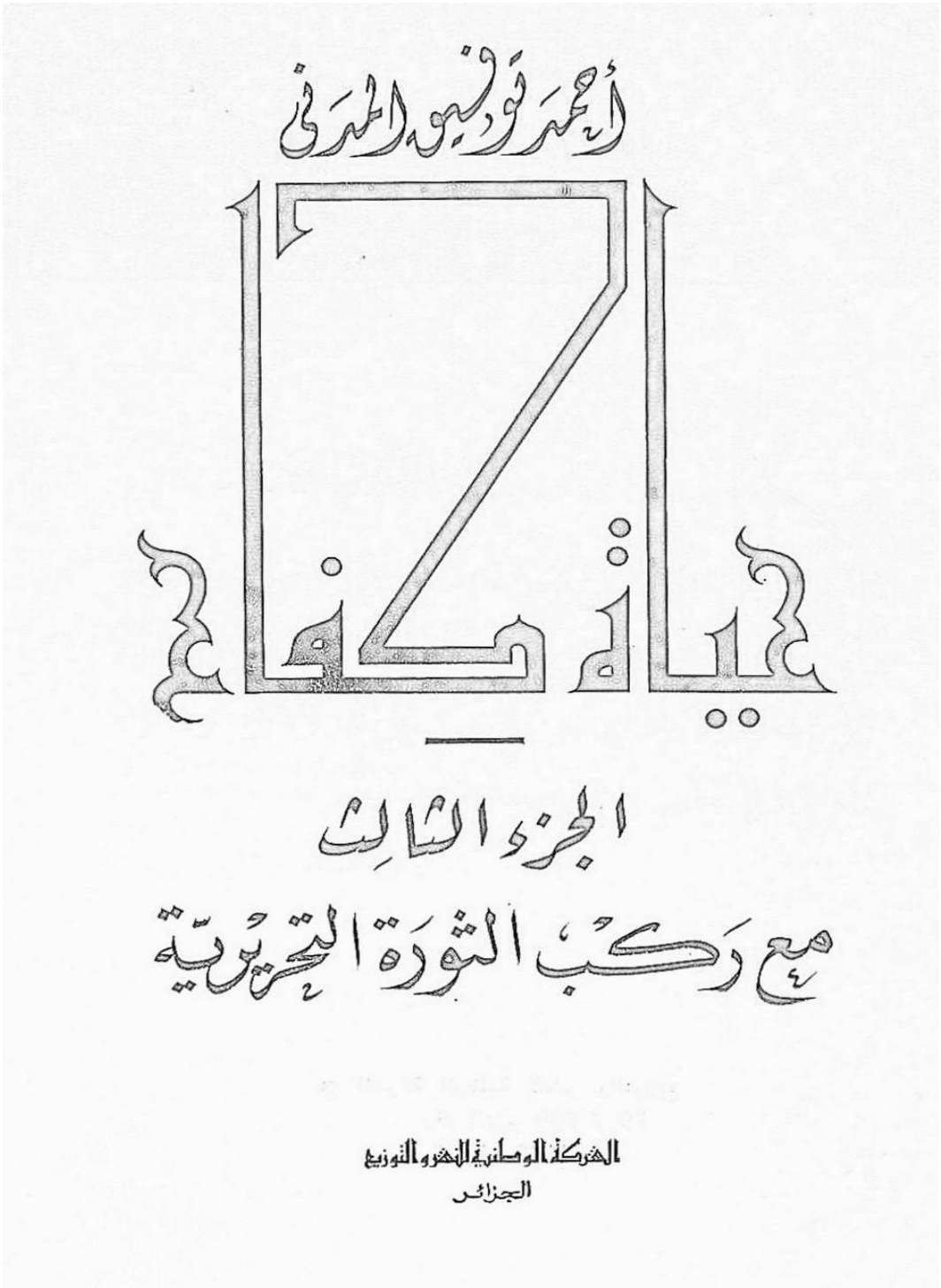

المصدر : حياة كفاح

الملحق 06

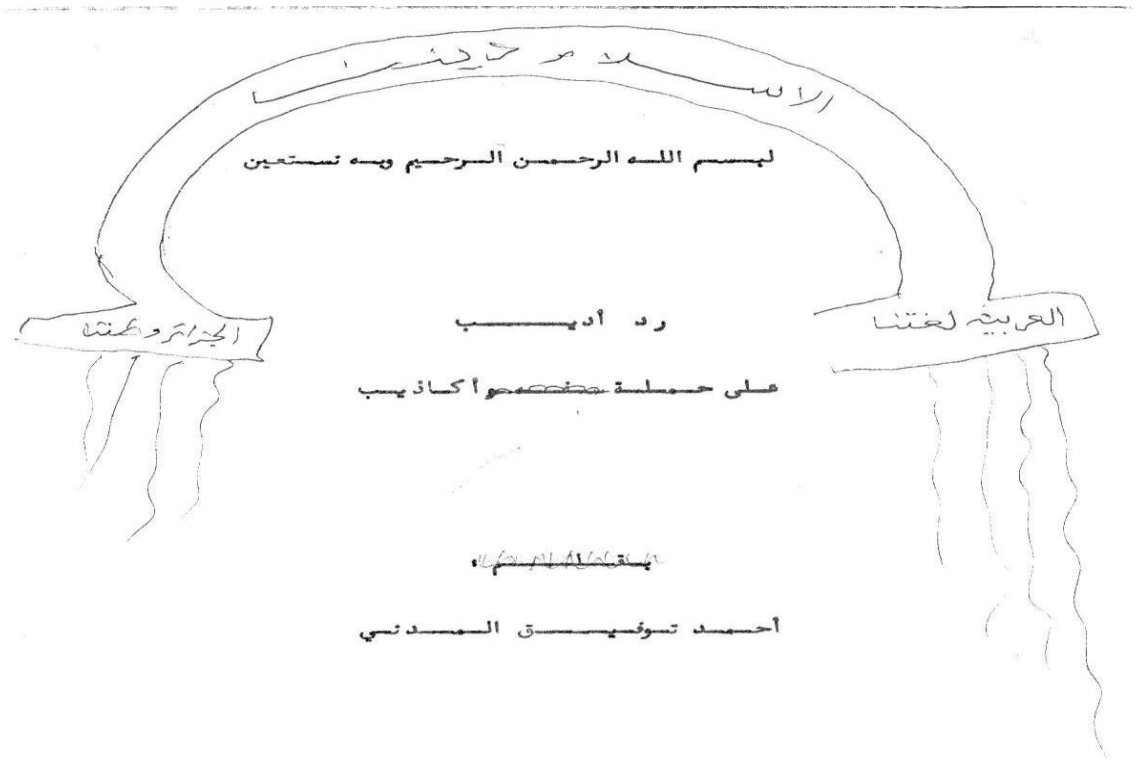

المصدر : رد اديب عن حملة اكذيب

الملحق 07

ثار العقول والمطابع

محمد عثمان باشا

داي الجزائر « ١٧٦٦ - ١٧٩١ »

هذا اسم السفر الجليل الذي الفه — أخيرا — الاخ الاستاذ احمد توفيق المدني لخص فيه تاريخ الجزائر في العصر التركي . و بين حالتها الاجتماعية والادبية و السياسية باسلوب بديع جمع الفصاحة والتناسق وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومباهج الفن . و بروح اسلامية لا تعرف الا الصدق عربية لا تفارقها العزة والشهامة ، واذا (١) كان « الوطن هو تاريخ الوطن » كما يقول الاستاذ عبد الرحمن صدقي و« لا حياة لامة الا باحياء ماضيها» كما يقول الدكتور هيكل — فالاخ الاستاذ المدني بكتابه هذا لم يكن كاتبا بليغا و مولفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب بل كان فرق ذلك من خيرة من يعثوا اوطانا واحيوا امما.

ان من جنايات الاستعمار الاوربي على البشرية انه قلب حقائق التاريخ على الناس فقد صور الامم التي ابتليت به واصيبت بشره بصور من الهمجية والوحشية والتاخر والانحطاط لا ابشع منها ذلك ليبرر استيلاءه عليها و ليمن عليها بما زرعه فيها من عمران وان كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به فاميريكا — مثلا — يصورها الاستعمار و يصور سكانها الاصليين باقبح الصور حتى قلب من ابنائها الاصليين و من العلماء المنصفين من رد ذلك التصوير و زيفه وهاك بعضا مما يبين لك هذا ذكره الاستاذ محمد كرد على في آخر كتابه (الاسلام

(١) رجع المقالين المنشورين في هذا الجزء في باب المجتنيات

المصدر: محمد عثمان باشا

الملحق 08

المصدر : هذه هي الجزائر

الملحق03

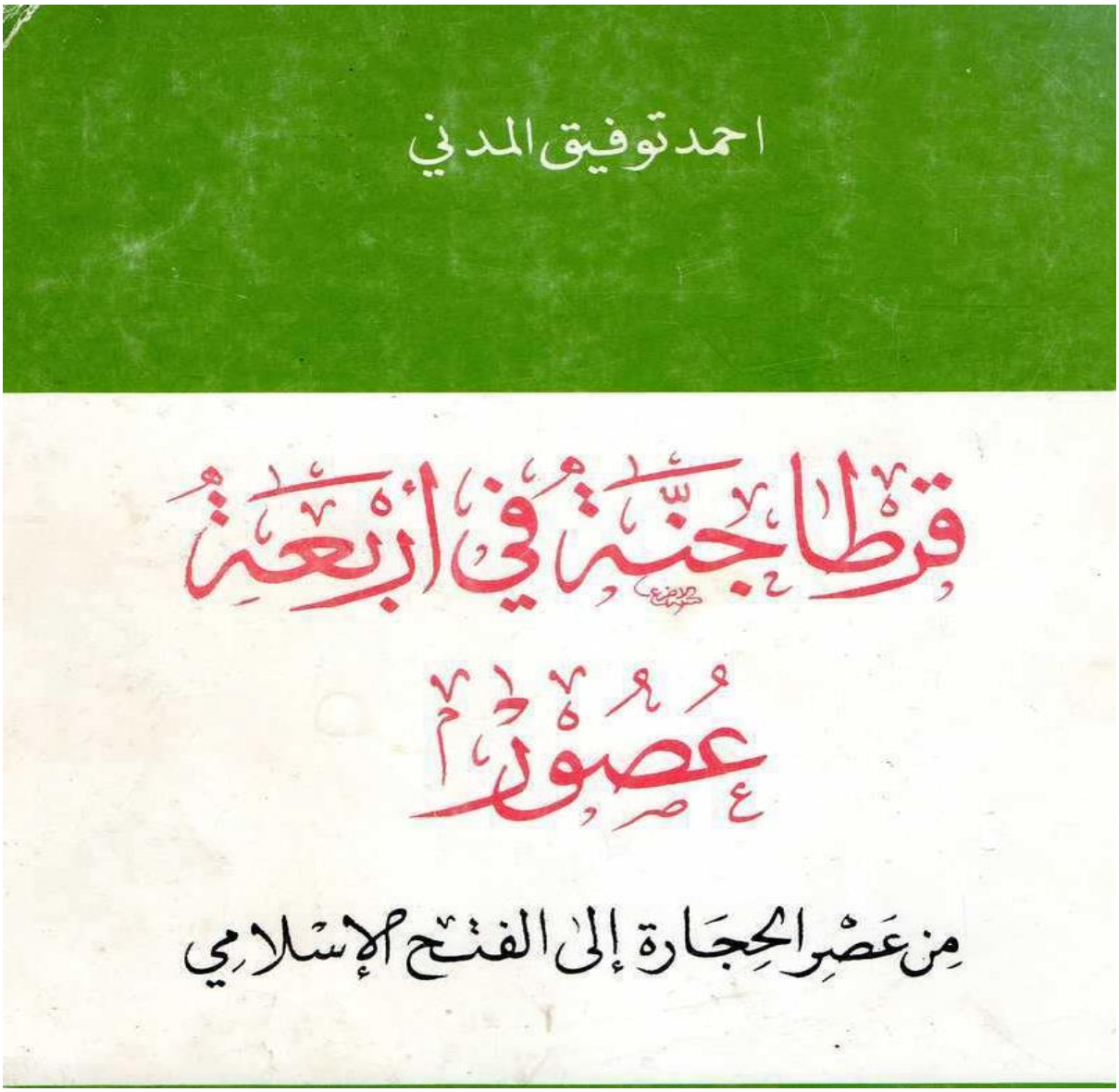

المصدر: قرطاجنة في أربعة عصور

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

➢ القرآن الكريم

أولا: المصادر

أ- الكتب :

1- ابن حوقل ، صورة الأرض ، مطبعة ابريل ، لندن ، ط 2 ، 1938.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، د ط ، ج1.

3- ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، تح ، ألفريد ، الغوثي أبو علي ، مطبعة فونطانة ، الجزائر ، 1993

4- ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق ، اسماعيل العربي ، ط1 ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1980

5- ابن الصغير الرستمي ، أخبار الأئمة الرستميين ق 3هـ ، تحقيق، محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي

6- أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف الميليني المديوني التلمساني ، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان ، ط 1908 ، المطبعة الثعالبية

7- البيدق أبي بكر بن علي الصنهاجي ، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين،ار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ط 1971

8- البكري أبو عبيدة ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، (د ط) ،(د ت)، ج

9- القلقشندي ، الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، مطبعة الأميرية لنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 1915 ، ج 5

10- الونشريسي أحمد بن يحي ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، تح مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، (د س ط)

11- بوصفصاف عبد الكريم وأخرون : معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج2 ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة ، جامعة قسنطينة ، 2004.

12- بوصفصاف عبد الكريم ، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج 2، دار الحمدي لنشر ، عين مليلة الجزائر.

13- سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط2 ، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، (د –د – ن) ، (د – س).

14- المدني أحمد توفيق : حياة كفاح ، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988.

15- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح مع ركب الثورة التحريرية ، (د– ط) ، ج3 ، الشكة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982

16- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر ، (د– ط) ، منشورات رويبة ، ANEP ، الجزائر ، 2010 .

17- المدني أحمد توفي محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791) سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده (د- ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر

18- المدني أحمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري ، (د – ط) ، المطبعة العربية ، الجزائر ،1948م

19- المدني احمد توفيق ، رد أديب على حماة أكاذيب ، د–ط ، البصائر ، الجزائر ، 2009

20- المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر

21- عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تح ، أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2003

22- شكيب أرسلان ، زمن العروبة الأبتر، مقالات في صفيحة الفتح ،دار التقديمية ، ط1، لبنان ، 2011

23- شكيب أرسلان ، زمن العروبة الأبتر، مقالات في صفيحة الفتح ،دار التقديمية ، ط1، لبنان ، 2011

24- عبد الرحمان الجلالي ، تاريخ الجزائر العام مطبعة العربية ، ط 1 ، الجزائر ، 1953

ثانيا المراجع :

أ- المراجع المكتوبة

25- عبد الله بن بلكين ، التبيان ، تح، ليفي بروفنسال ، مكتبة المعارف ، ط 1995، القاهرة ، مصر

26- لونيسي رابح: التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920- 1964) ، ط1 ، كوكب العلوم ، الجزائر ،2009.

27- عبد القادر خليفي : الكتابات التاريخية وبعث الوطنية في ظل الحقبة الكولونيالية ،

28- كواتي مسعود: شخصيات جزائرية مواقف وأثار ونصوص ،ط1، دار طليطلة ، الجزائر ، 2011.

29- محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين ، ج4،دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1985، ط1.

30- عبد الوهاب حسين حسني : خلاصة تاريخ تونس ، دار الكتب العربية الشرقية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1953م،ط1.

31- محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010 .

32- عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، ج4 ، الدولة الإدريسية، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب،1987.

33- بوضارسية بوعزة: رواد المدرسة التاريخية الجزائرية ، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007.

34- الذويب جمال هاشم وأخرون ، الموجز في التاريخ العربي ، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، ليبيا ، 1997م.

35- العسلي بسام: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة ،(د.ط)،(د.س) .

36- اتحاد المؤرخين الجزائريين ، المدرسة التاريخية الجزائرية ، ط1، وسام نبراس للإعلام والنشر ، والإشهار ، الجزائر ، 1998 .

37- بوذينة محمد: مشاهير التونسيين ، ط2، دار سيراس للنشر ، تونس ، 1992،

38- حقي إحسان: الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد ، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبان ، 1961.

39- الشيخ أبو عمران وأخرونا : معجم مشاهير المغاربة ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، جامعة الجزائر ، 1995.

40- فضلاء محمد حسن: من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1، دار هومة ، 2000 ،

41- محمد الصالح الصديق : شخصيات فكرية وأدبية ، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، صفحات من تاريخ الجزائر ، دار الشروق ، الجزائر ، ط 1، 1980 .

42- عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، دار الريحانة ، ط 1 ، 2008

43- كوتي مسعود ، تاريخ الجائر المعاصر وقائع و رؤى ، (د ط) ، دار هوما ، (د ت).

44- عبد الله سيد علي حشلاف ، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ،المطبعة التونسية ،1939

45- اسماعيل سامعي ، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في ارساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب ق4 هـ / 10 م ، مركز الكتاب العربي ، (د ط)

46- فوزي سعد الله ، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر ،ط2 ، 2004 .

47- مولاي توهامي ، سلسة توات في أبرز الشخصيات من علماء وصالحي الإقليم ، أدرار ، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية ، ط1 ، 2015.

48- عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن 6 هـ ، دار الشروق بيروت لبنان ، ط 1، 1983.

49- إبراهيم القادري ، الإسلام السري في المغرب العربي، ط1 ، سينا للنشر ، مصر ،1995.

50- فلالي عبد العزيز ، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، د ط ، عين مليلة الجزائر.

51- لونسي رابح ، تيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1964)، ط1 ، كوكب العلوم ، الجزائر ، 2009.

52- المظلفيي عارف أحمد اسماعيل ، المستخلص في النقد التاريخي ، د ج ، دار النشر للجامعات ، سعيدوني نصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1988.

53- الضيف جيلالي: بناة المجد توفيق المدني ، طبعة خاصة ، دار الخليل ، الجلفة ، 2013.

54- عموري الطاهر: النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بداية القرن العشرين إلى مابين الحربين العالميتين (د- ط) ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 2009

55- محمد قناش ، مذكرتي مع مشاهير الكفاح ،(د ط) ، دار القصبة لنشر المركزي ، الجزائر ، 2007،

56- ضيف جيلالي ،بوناة المجد توفيق المدني ، طبعة خاصة ، دار الخليل ،الجلفة ،2013.

57- مجلة التاريخ، الجزائر ، العدد 18، 1985

58- العجيلي التليلي: مذكرات أحمد توفيق المدني على ضوء الوثائق الأرشيفية ، اعتقاله سنة 1915 نموذجا ، مقال غير منشور.

59- عدواني محمد الطاهر: كلمة التأبين بمناسبة الأربعين ، مجلة التاريخ ، العدد 18 ، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985.

60- بلقراد محمد:الأستاذ الشيخ أحمد توفيق المدني 1899-1983 لمحات من حياته وأعماله ، مجلة التاريخ ، العدد18، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985

61- تازير فاطمة، فضيلة نكور : أحمد توفيق المدني 1899-1983، مجلة التاريخ ، العدد 18، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985.

62- أوغلي أكمل الدين أحسن: هذا ما حدثني به المدني صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني ، مجلة التاريخ ، العدد 18 ، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985،

63- الجباري محمد الصالح : رحم الله أحمد توفيق المدني ، مجلة الحياة الثقافية ، العدد 28-29 ، تونس ، 1983.

المذكرات والأطروحات الجامعية

64- بكارة جودي : المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري ودراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الاشرف ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، قسم علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 2008- 2009م

65- ميسوم بلقاسم ، الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، (مخطوطة) 1830-1962 دراسة تحليلية ، مذكرة لنيل شهادة الدكتور في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ،الجزائر.

66- كروم عيسى، تلمسان إمارة سليمانية (172هـ . 342 هـ/ 788م . 953 م) ، مقال بمجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية ،المجلد6 ، ديسمبر 2022

67- علاوة عمارة وزينب موساوي ، مدينة الجزائر في العصر الوسيط ، مقال ، في المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، عدد مزدوج ، 45 و44 ، أفريل ـ سبتمبر ، 2009

68- طيروش بن خولة وبن لعرج سمية ، المغرب الأوسط في عهد المرابطين والموحدين . دراسة سياسية وحضارية . مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب الأوسط الوسيط ،جامعة تيارت ، 2015/2014

69- شابيبي ياسين ، إقليم توات خلال القرن (9هـ/15م) وموقف الشيخ المغيلي التلمساني من يهودها، دراسات تاريخية ، ASJP ، العدد السادس

70- أمينة قدراوي ،فاطمة الزهراء سلام ، الرق في ظل الحكم المرابطي(الدور السياسي والعسكري هبيرات بلال ، حلاق أحلام ، تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن 6 هـ / 12 م ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، قسم التاريخ ، جامعة المسيلة ، السنة الجامعية 2017/2016م

71- خليفي عبد القادر : أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر 1899– 1983م ،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة متنوري قسنطينة ، الجزائر ،2006–2007م.

72- مدني بشير : أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية ، المدرسة التاريخية الجزائرية ، ط1

73- طونا فكري: الوثائق العثمانية وأهميتها عند الشيخ أحمد توفيق المدني لتدوين وكتابة التاريخ الجزائري الحديث ، مجلة التاريخ ، العدد18، الجزائر ، النصف الأول من سنة 1985.

74- خليفي عبد القادر ، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899– 1983 ، عبد الكريم بوصفصاف كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والأثار ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007.

75- ميسموم بالقاسم : الكتبات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (مخطوطة) 1830 – 1962 ، دراسة تحليلية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 2011 –2012 .

المواقع الإلكترونية

76- بن قينة عمر: أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي ، موقع dam –wu .htm–sd001–book 00–k/ind –a–org /book /00/study 00/283.

WWW.a

77- صنعاء ، 2014، ط1.

78- 448هـ . 540 هـ)، جامعة آكلي محند أولحاج ، البويرة ،2015/2014م .

الفهـــــرس

العنوان

شكر والعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات صفحة:

مقدمة :.....6

الفصل الأول: أحمد توفيق المدني وكتاباته التاريخية

المبحث الأول : تعريف بأحمد توفيق المدني.....12

المبحث الثاني : الكتابة التاريخية عند أحمد توفيق المدني وآراء المعاصرين حولها....29

الفصل الثاني : اسهامات أحمد توفيق المدني في كتابة تاريخ الجزائر في العصر الوسيط

المبحث الأول : الفتح الإسلامي للجزائر والكيانات السياسية التي عرفتها خلال العصر الوسيط..51

المبحث الثاني: أحمد توفيق المدني مؤرخا لتاريخ الاجتماعي للجزائر الوسيطة..... 68

المبحث الثالث: الاسهامات الحضارية للجزائر في العصر الوسيط من خلال أحمد توفيق المدني 76

الخاتمة :.....100

الملاحق :.....104.

قائمة المصادر والمراجع : 115

الملخص:

أحمد توفيق المدني (1898–1983) هو مفكر وكاتب جزائري شهير في العصر الوسيط. كان يُعتبر من أبرز الشخصيات الفكرية في الجزائر والعالم العربي بشكل عام خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

في كتاباته، تناول أحمد توفيق المدني قضايا الاستعمار والهوية الوطنية والتحرر الوطني للجزائر. كان له رؤية متقدمة ومتعمقة في تحليل الواقع الاجتماعي والسياسي للجزائر وأثر الاستعمار الفرنسي على المجتمع.

أحمد توفيق المدني أشاد بالهوية الجزائرية وحث على تعزيزها والحفاظ عليها في وجه التهميش الثقافي والاجتماعي الناجم عن الاستعمار. ركز أيضًا على أهمية التعليم والتحصيل العلمي كوسيلة لتعزيز الوعي والتقدم في المجتمع الجزائري.

من بين كتاباته المهمة عن الجزائر في العصر الوسيط، يُذكر كتابه "الجزائر ومشكلة الثقافة" الذي صدر في عام 1948. في هذا الكتاب، استعرض المدني تاريخ الجزائر وثقافتها وتحدث عن الضرورة الحقيقية لتنمية الثقافة الوطنية والتمسك بالهوية الجزائرية.

باختصار، أحمد توفيق المدني كان من الأصوات المؤثرة في الجزائر خلال فترة الاستعمار، حيث سعى إلى تعزيز الوعي الوطني والهوية الجزائرية وتحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي. كتاباته تعكس تفكيره العميق وتحليله للواقع الاجتماعي والثقافي في الجزائر وتعزز قضايا التحرر والتقدم.

الكلمات المفتاحية:

أحمد توفيق المدني– الكتابة التاريخية – الجزائر الوسيطية – العصر الوسيط – البربر – المغرب الأوسط

résumé:

Ahmed Tawfik El Madani (1898-1983) est un célèbre penseur et écrivain algérien médiéval. Il était considéré comme l'une des figures intellectuelles les plus en vue en Algérie et dans le monde arabe en général pendant la période coloniale française.

Dans ses écrits, Ahmed Toufic El Madani a abordé les questions de colonialisme, d'identité nationale et de libération nationale pour l'Algérie. Il avait une vision avancée et approfondie dans l'analyse de la réalité sociale et politique de l'Algérie et de l'impact du colonialisme français sur la société.

Ahmed Tawfik Al-Madani a fait l'éloge de l'identité algérienne et a appelé à sa promotion et à sa préservation face à la marginalisation culturelle et sociale résultant du colonialisme. Il a également mis l'accent sur l'importance de l'éducation et du niveau d'instruction comme moyen de promouvoir la prise de conscience et le progrès dans la société algérienne.

Parmi ses écrits importants sur l'Algérie au Moyen Âge figure son livre «L'Algérie et le problème de la culture», publié en 1948. Dans ce livre, Al-Madani a passé en revue l'histoire et la culture de l'Algérie et a parlé de la nécessité réelle de développer culture nationale et adhésion à l'identité algérienne.

En bref, Ahmed Tawfik Al-Madani était l'une des voix les plus influentes en Algérie pendant la période coloniale, alors qu'il cherchait à renforcer la conscience nationale et l'identité algérienne et à libérer le pays du colonialisme français. Ses écrits reflètent sa réflexion profonde et son analyse de la réalité sociale et culturelle en Algérie et promeuvent les questions de libération et de progrès.

mots clés: Ahmed Tawfiq Al-Madani - Ecriture historique - Algérie médiévale - Epoque médiévale - Berbères - Maghreb moyen